مختصر

# الداء والدواء

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

تقريظ

د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي



اختصره:

ناصر صالح آل عشوي

دار المعراج

أول كتاب مختصر مصوّر
لكتاب الداء والدواء


مختصر
الداء والدواء
اختصره: ناصر صالح آل عشوي

مختصر الداء والدواء للإمام ابن القيم

اختصره: ناصر صالح آل عشوي

عدد الصفحات (174)

القياس: 14 x 21

الطبعة الأولى

1445 هـ - 2023 م







تلفاكس: 963112247242+

ص.ب: 31429 - سورية - دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com

تصميم وإخراج فني: محمد عبدالله الزبيدي

fara3dfawa3d@gmail.com

مختصر

# الداء والدواء


للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

تقريظ

د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

اختصره:

ناصر صالح آل عشوي





بسم الله الرحمن الرحيم

# تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لقد كان كتاب ابن القيم -رحمه الله تعالى- **الداء والدواء**، أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي جواباً لمن سأله أنه ابتلى ببلية وعلم أنها إن استمرت به أفسدت دنياه وآخرته فما الحيلة في دفعها؟ فأجاب على سؤاله جواباً طويلاً وعالج -رحمه الله تعالى- في هذا الجواب قضية (المعاصي) وما يترتب عليها من الآثار والعقوبات المادية والنفسية والروحية وبين الوقاية من ذلك والمخرج منها غير أنه -رحمه الله تعالى- أطال كثيراً في الجواب، واستطرد في فصوله ومباحثه، وكثير في زمانك مع وقوعهم في ذات المشكلة ومعاناتهم منها وشدة أثرها عليهم وضرورتهم إلى هذا العلاج الذي ذكره -رحمه الله تعالى- إلا أنهم قد لا يستطيع قراءة هذا الجواب في هذه المئين من الصفحات وتقصر همة الواحد منهم عن تتبع كل ما قاله في هذا الكتاب النفيس فسمت همة أخينا: ناصر صالح آل عشوي جزاه الله تعالى خيرًا إلى اختصار هذا الكتاب وتقديم هذا العلاج العظيم في صورة سهلة وميسرة ومرتبة فاختصره وقرّبه، ولم يتصرف في كلام المؤلف بشيء، واجتهد في تصميمه ليكون جاذباً شكلاً ومعنى وهو بهذا يسهم في تقديم هذه الوصفة العلاجية في صورة تليق بها فجزاه الله تعالى خيراً وبسط عليه توفيقه وأجرى له سهمًا وافرًا من حظوظ المنتفعين في الدارين، والله ولي التوفيق.

كتبه

د/ مشعل عبد العزيز الفلاحي

الخميس 1444/12/26هـ



# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى،**

**أما بعد:**

فهذا مُخْتَصَر لكتاب" **الداء والدواء**" للإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى-.

**والمقصود من هذا الاختصار:** تقريب الكتاب ليكون في مُتَنَاوَل الجميع؛ نظرًا لما حَوَاه من موضوعات جليلة تهم الفرد والمجتمع.

وقد تضمّن هذا المُخْتَصَر صورًا ورسومات متنوعة بتصاميم "**الإنفوجرافيك**" لتقريب المعاني وتوضيحها، ونقلها إلى القارئ في صورة إبداعية تألفها العين.



## المنهج المُتَّبَعُ في هذا المُخْتَصَر:

حذف الاستطرادات التي استرسل فيها المؤلف، والاقتصار على صلب الفكرة المقصودة، مع مراعاة السياق.

إثبات ألفاظ المؤلف بدون تصرف فيها، ولا زيادة عليها، بمعنى: أن ما ستقرؤه في هذا المُخْتَصَر فإنه من كلام ابن القيم-رحمه الله-، إلا عناوين بعض الفصول فقد يكون اجتهادًا، وهو نادر جدًّا.

الاعتماد على النص المحقق من إشراف "عطاءات العلم".

تخريج الأحاديث والآثار والأبيات تخريجًا مختصرًا من حواشي الأصل.

هذا وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل اليسير، وينفع به؛ إنه سميع مجيب.


وكتبه:

ناصر صالح آل عشوي

Naseersaleeh123@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين - رضي الله عنهم أجمعين - في رجل ابتلي ببلية، وعلم أنها إن استمرّت به أفسدت عليه دنياه وآخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد إلا توقُّدًا وشدة؛ فما الحيلة في دفعها؟ وما الطريق إلى كشفها؟ فرحم الله من أعان مبتلّى، "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[1]، أفتونا مأجورين.




(1) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم(2699).

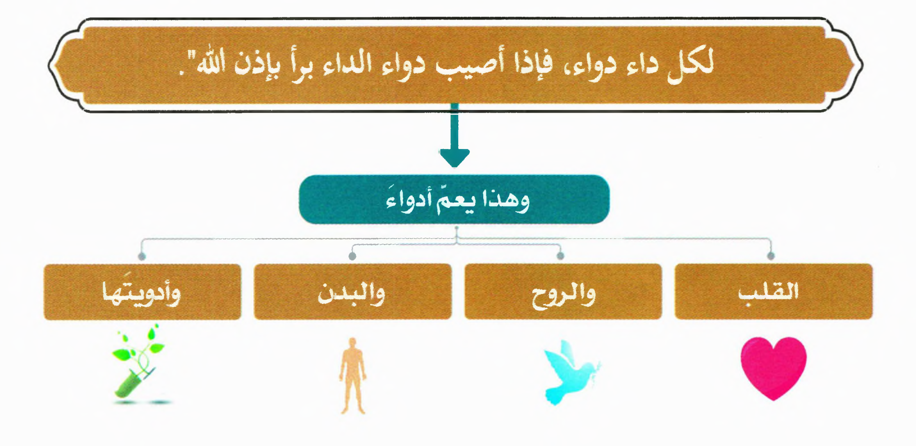
فأجاب الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام مفتي الفِرَق شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيوب إمام المدرسة الجوزية بدمشق المحروسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الحمد لله. ثبت في صحيح البخاري (2) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

"ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء".

وفي صحيح مسلم (3) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله".




(1) برقم (5678).

(2) برقم (2204).

وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنه شفاء، فقال تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾ [سورة فصلت:44]

وقال:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء:82]

و"من"

ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية الأخرى[1].



فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن.

(1) أي: الآية المتقدِّمة.

## وقد ثبت في الصحيحين (1) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال:

انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرة سافروها حتى نزلوا على حيّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يُضيّفوهم. فلُدِغَ سيّدُ ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهطَ الذين نزلوا، لعلّه أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: أيها الرهط إن سيّدنا لُدِغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إنّي لأرقي، ولكن والله استضفناكم فلم تُضَيّفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتفُل عليه، ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:2]، فكأنما نُشِطَ من عِقال، فانطلق يمشي، وما به قَلَبة. فأوفَوهم جُعْلَهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقتسِموا، فقال الذي رقَى: لا نفعل حتى نأتي النبي ﷺ، فنذكر له الذي كان، فننظر بما يأمرنا. فقدِموا على رسول الله ج فذكروا له ذلك، فقال: "وما يدريك أنها رقية؟" ثم قال: "قد أصَبتُم، اقتسِمُوا واضرِبوا لي معكم سهمًا".




فقد أثّر هذا الدواءُ في هذا الداء، وأزاله حتى كأنْ لم يكن. وهو أسهل دواء وأيسره. ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء.

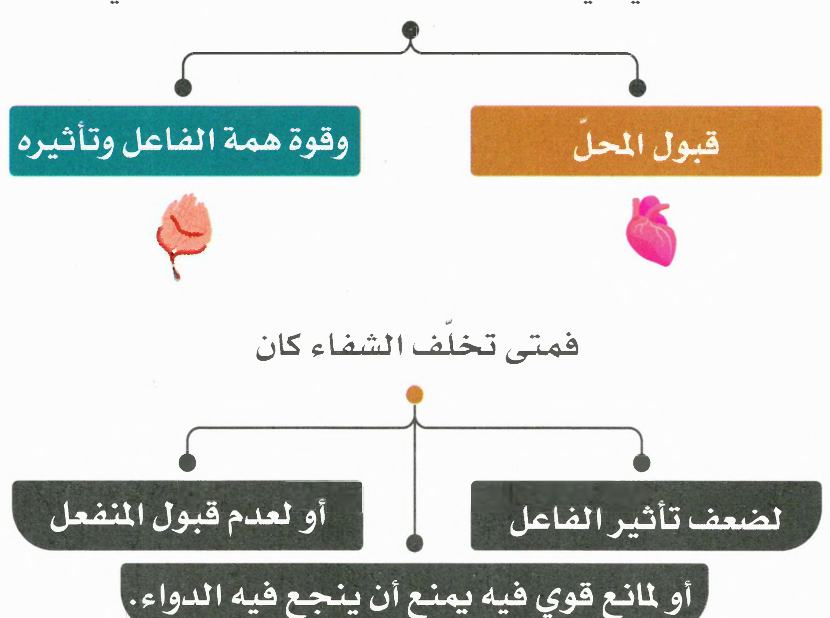
(1) البخاري (2276)، ومسلم (2201).

ومكثتُ بمكة مدّةً تعتريني أدواء، ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنتُ أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا. فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، وكان كثير منهم يبرأ سريعًا.




**ولكن ها هنا أمر ينبغي التفطّن له**

وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي





وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره:

1

إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان.

2

وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًّا فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا.

3

وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورَين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها.

فهذا دواء نافع مزيل للداء، ولكن **غفلة القلب عن الله** تُبطِل قوّته.

وكذلك **أكل الحرام** يُبطل قوّته ويُضْعِفها.

الفصل الأول

# الدُّعاء من أنفع الأدوية



والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين، ونور السموات والأرض"(1).

(1) (1/ 669) برقم (1812)، وضعّفه الألباني في الضعيفة (179).

## وله مع البلاء ثلاث مقامات:

1- أن يكون أقوى من البلاء، فيدفعه.

2- أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد. ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفًا.

3- أن يتقاوما، ويمنع كلّ واحد منهما صاحبه.

## ومن أنفع الأدوية: الإلحاح في الدعاء

وقد روى ابن ماجه في سننه (1) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل اللهَ يغضَبْ عليه".

(1) برقم (3827)، وأخرجه الترمذي (3373)، وصححه الحاكم (1/ 668) برقم (1807).

الفصل الثاني

# استعجال استجابة الدعاء



## ومن الآفات التي تمنع ترتُّبَ أثرِ الدعاء عليه:

أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسرَ، ويدَعَ الدعاء، وهو بمنزلة مَن بذر بَذرًا، أو غرس غِراسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلمّا استبطأ كمالَه وإدراكَه، **تركه وأهمله!** وفي صحيح البخاري [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"يستجاب لأحدكم ما لم يعجَلْ، يقول: دعوتُ، فلم يُستجَبْ لي".

(1) برقم (6340).

الفصل الثالث

# من آداب قبول الدعاء

وإذا جمع الدعاءُ حضورَ القلب وجمعيتَه بكلّيته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي:

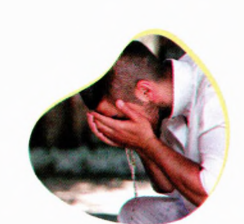




وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الربّ، وذلاً له، وتضرّعًا ورِقّةً.



واستقبل الداعي القبلة.



وكان على طهارة.



ورفع يديه إلى الله تعالى.




وبدأ بحمد الله والثناء عليه.



ثم ثنّى بالصلاة على محمّد عبده ورسوله ﷺ.



ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار.



ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه، ودعاه رغبة ورهبة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده.



وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإنّ هذا الدعاء لا يكاد يُرَدّ أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.

فمنها: ما في السنن وصحيح ابن حبان[1] من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنّي أشهد أنّك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: "لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب".

وفي جامع الترمذي وصحيح الحاكم[2] من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: "دعوة ذي النون إذ دعا، وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:87] إنّه لم يدعُ بها مسلمٌ في شيء قطّ إلا استجاب الله له". قال الترمذي: حديث صحيح.

(1) أبو داود (1493)، والترمذي (3475)، وابن ماجه (3857)، وابن حبان (892).

(2) الترمذي(3505)، والحاكم(1/ 684، 685).

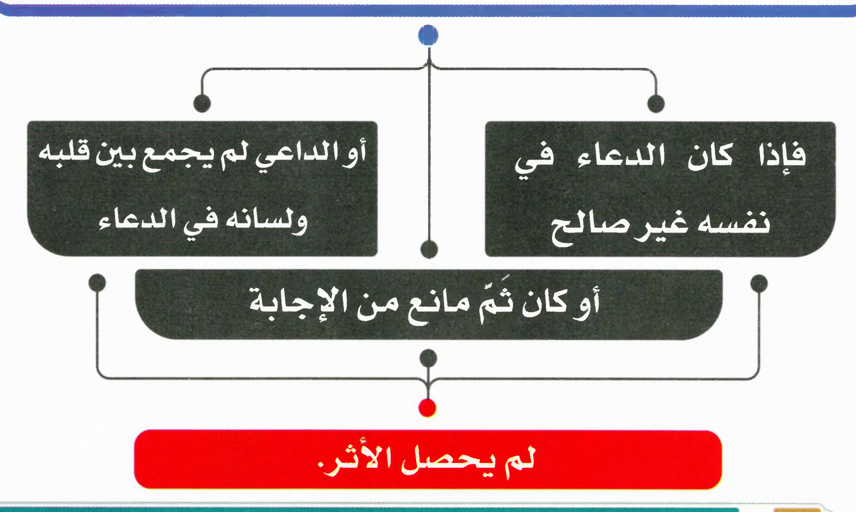
الفصل الرابع

# الدعاء كالسِّلاح

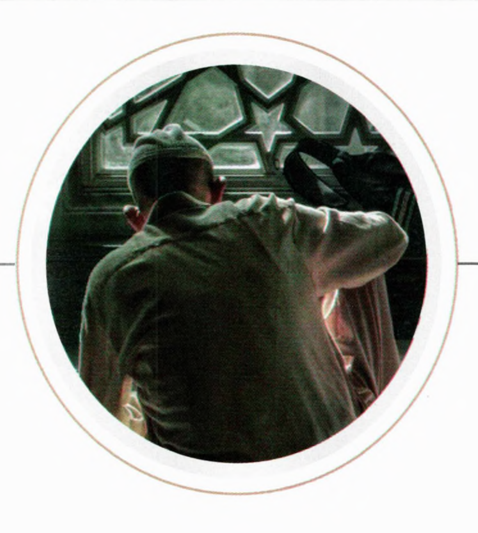


**والأدعية والتعوُّذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحدّ فقط**

فمتى كان السلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود، حصلت به النكاية في العدو. ومتى تخلّف واحد من هذه الثلاثة تخلّف التأثير.



# بين عفو الله وأمره



وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيّعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يردّ بأسه عن القوم المجرمين.

**ومن اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند.**

وقال معروف:

**رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخِذلان والحمق (1)**

(1) طبقات الصوفية للسلمي(89)، ومعروف هو الكَرخي.

وقد ثبت في الصحيحين(1) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال:

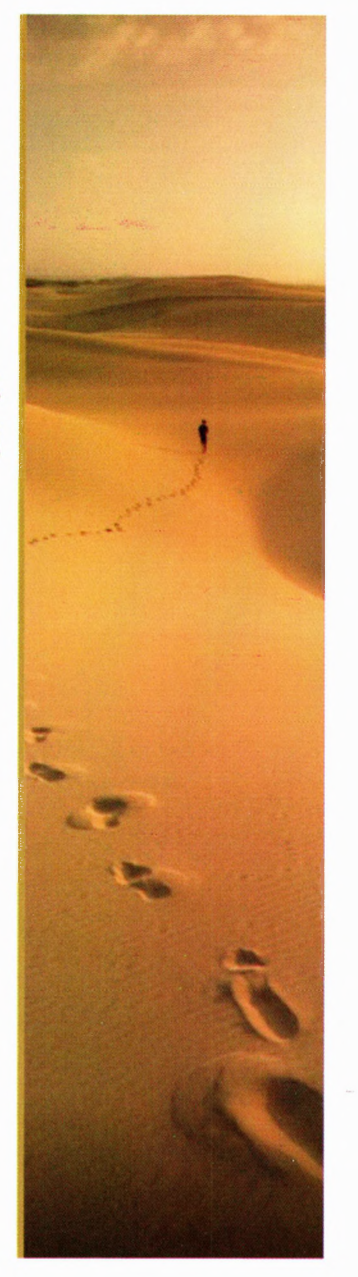
سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"يُجاءُ بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتابُ بطنه(2)، فيدور في النار كما يدور الحمار برَحاه، فيُطيف به أهلُ النار، فيقولون: يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

وربما اتّكل بعض المغترّين على ما يرى من نِعَم الله عليه في الدنيا، وأنه لا يُغيِّر به، ويظنّ أنّ ذلك من محبة الله له، وأنّه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، وهذا من الغرور.

(1) البخاري(3267)، ومسلم(2989).

(2) أي: تخرج أمعاؤه من جوفه، النهاية (2/ 130).



## قال الإمام أحمد (1):

من حديث عُقْبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا رأيتَ الله عَزَّ وَجَلَّ يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبّ، فإنما هو استدراج" ثم تلا قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام:44].

## وقال بعض السلف:

إذا رأيت الله يتابع نعمَه عليك، وأنت مقيم على معاصيه، فاحذره؛ فإنما هو استدراج يستدرجك به (2).

## وقال بعض السلف:

رُبَّ مستدرَج بنعم الله عليه، وهو لا يعلم
ورُبَّ مغرور بسَتْر الله عليه، وهو لا يعلم.
ورُبَّ مفتون بثناء الناس عليه، وهو لا يعلم (3).

(1) في المسند (4/ 145)، (17311)، والزهد (62).

(2) من قول الزاهد سلمة بن دينار، أبي حازم الأعرج، وهو من صغار التابعين. أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (31).

(3) أخرجه أحمد في الزهد (1606) عن الحسن البصري بمعناه.

الفصل السادس

# الفرقُ بين حُسْنِ الظن والغُرور



فقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأنّ حسن الظن إن حمل على العمل، وحثّ عليه، وساق إليه، فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي، فهو غرور.

وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه حاديًا له على الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح.

**ومن كانت بطالته رجاءً، ورجاؤه بطالةً وتفريطًا، فهو المغرور.**



ولو أن رجلًا له أرض يؤمّل أن يعود عليه من مُغَلّها ما ينفعه فأهملها، ولم يبذُرها، ولم يحرثها، وأحسن ظنه بأنه يأتي من مغلّها ما يأتي مَن حَرَث، وبَذَر، وسقَى، وتعاهَد الأرضَ، لعدّه الناس من أسفه السفهاء.



وكذلك لو حسّن ظنّه وقوّى رجاءَه بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلمَ أهل زمانه من غير طلبِ للعلم وحرص تامّ عليه، وأمثال ذلك.

فكذلك

من حسّن ظنه وقوّى رجاءه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وبالله التوفيق.

وقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة البقرة:218]

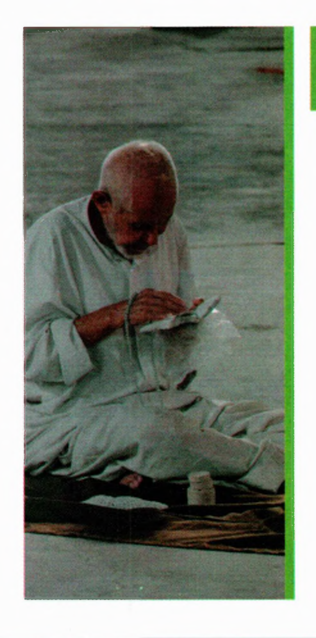
فتأمّلْ كيف جعل رجاءَهم إتيانَهم بهذه الطاعات!

## وقال المغترون:

إنّ المفرِّطين المضيِّعين لحقوق الله، المعطِّلين لأوامره، الباغين على عباده، المتجرِّئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله!

## وسرّ المسألة:

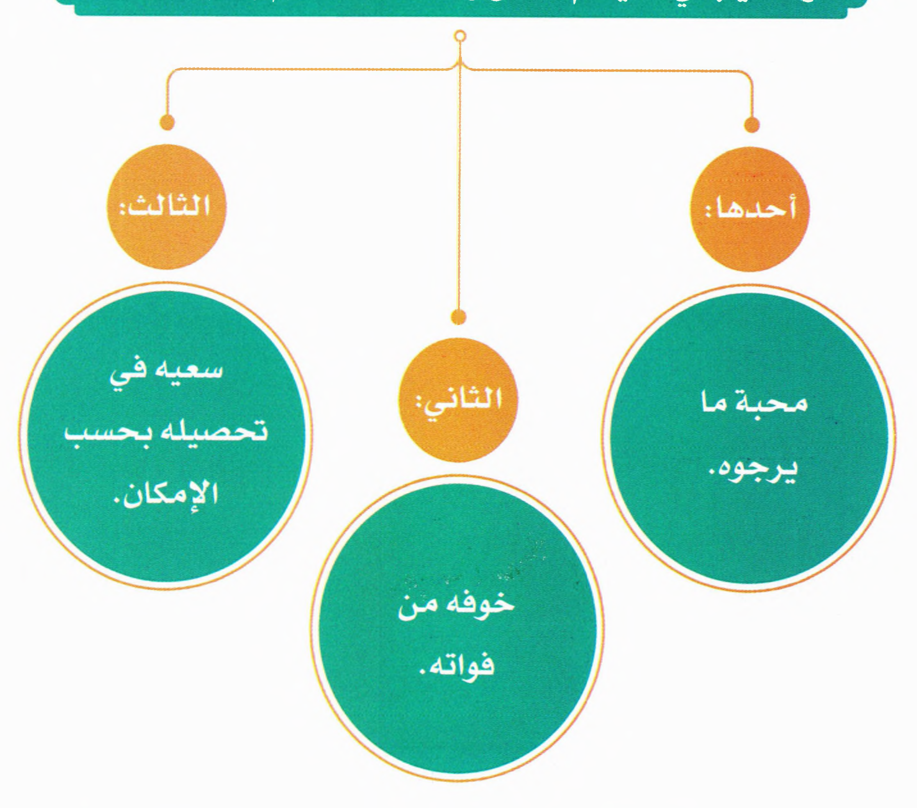
أنّ الرّجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه، وقدَره، وثوابه وكرامته؛ فيأتي العبد بها، ثم يحسن ظنّه بربه، ويرجوه أن لا يكلِه إليها، وأن يجعلها موصلةً إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها، ويبطل أثرها.



الفصل السابع

# بينَ الرَّجاءِ والأمانِيِّ

ومما ينبغي أن يُعلَم أنّ من رجا شيئًا استلزم رجاؤه أمورًا:




وأما رجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني!

والرجاء شيء، والأماني شيء آخر. فكلُّ راجٍ خائفٌ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرَعَ السيرَ مخافَةَ الفوات.

وفي جامع الترمذي(1) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن خاف أدلَجَ، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنّة".

وهو سبحانه كما جعل الرّجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال، فعُلِمَ أنّ الرّجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون:57-61]

| والله سبحانه وصف أهل السعادة: | بالإحسان مع الخوف |
|---|---|
| ووصف الأشقياء: | بالإساءة مع الأمن. |

(1) برقم (2450) والحديث حسنه الترمذي، وصححه الحاكم(4/ 343).

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف.



ونحن جمعنا بين التقصير -بل التفريط- والأمن!




## فهذا الصدّيق رضي الله عنه

- ذُكر عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد! [1]
- وكان يبكي كثيرًا، ويقول: ابكوا، فإنْ لم تبكُوا فتباكَوا[2].
- وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ[3].

(1) أخرجه أحمد في الزهد( 561).

(2) أخرجه أحمد في الزهد( 558).

(3) أخرجه عبدالرزاق في المصنف( 2/ 264).




## وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- كان في وجهه رضي الله عنه خطّان أسودان من البكاء[1].

- وقال له ابن عباس رضي الله عنهما: مصّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل! فقال: وددتُ أنّي أنجو، لا أجرَ ولا وزرَ[2].




## وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه

- كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبلّ لحيتَه[3].

(1) أخرجه أحمد في الزهد (636) وأبو نعيم في الحلية (1/ 51).

(2) أخرجه أحمد في الزهد (697) وأبو نعيم في الحلية (1/ 52).

(3) أخرجه الترمذي (2308) وابن ماجه (4267) وغيرهما.



## وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- وبكاؤه وخوفه، وكان يشتد خوفه من اثنتين: **طول الأمل، واتباع الهوى**، قال: فأما طول الأمل فيُنْسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولّت مدبرةً، والآخرةُ مقبلةٌ، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حسابَ، وغدًا حساب ولا عملَ [1].

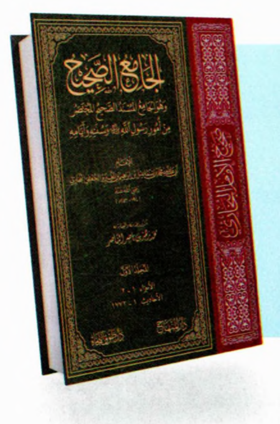
(1) أخرجه أحمد في الزهد (692) وأبو داود في الزهد (113) وغيرهما.




## وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه

- كان يقول: إنّ أشدّ ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي:

**يا أبا الدرداء قد علمتَ، فكيف عملتَ فيما علمتَ؟** [1]




قال البخاري [2] في صحيحه:

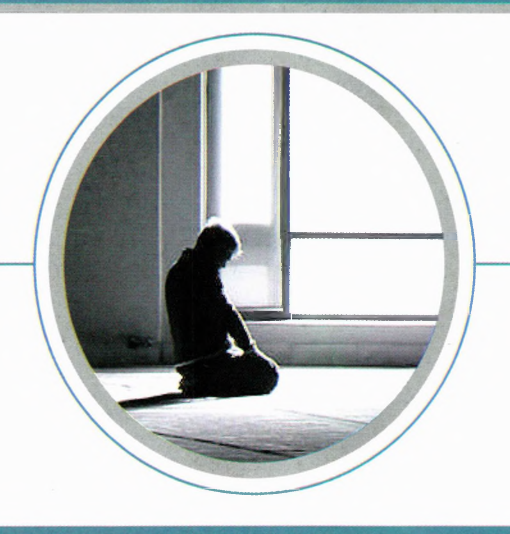
"باب خوف المؤمن من أن يَحْبَط عملُه وهو لا يشعر".

(1) أخرجه أحمد في الزهد (730) وأبو نعيم في الحلية (1/ 213)

(2) في كتاب الإيمان، باب رقم( 36).

الفصل الثامن

# كُلُّ شَرٍّ وداء في الدنيا والآخرة سببَهُ الذُّنوب



## فممّا ينبغي أن يُعلم:

أنّ الذنوب تضرّ ولابدّ، وأنّ ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنّة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

## وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء



وطَرَدَه ولعَنَه، ومسَخَ ظاهره وباطنه، فجُعِلَتْ صورتُه أقبح صورة وأشنعها؛ وباطنُه أقبح من صورته وأشنع؟

## وما الذي غرّق أهل الأرض كلّهم



حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

## وما الذي سلّط الريح العقيم على قوم عاد



حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

## وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحةَ

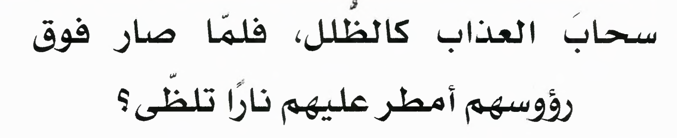


حتى قطّعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

## وما الذي رفع قرى اللوطية



حتى سمعت الملائكة نبيحَ كلابهم، ثم قَلَبَها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا ثم أتبعهم حجارةً من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمّةٍ غيرهم؟ ولإخوانهم أمثالُها، وما هي من الظالمين ببعيد!






سحابَ العذاب كالظُّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظّى؟

## وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر



ثم نُقلت أرواحُهم إلى جهنّم. فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

## وما الذي خسف بقارون



وداره وماله وأهله؟




بأنواع العقوبات، ودمّرها تدميرًا؟



## وما الذي أهلك قوم صاحب ﴿يس﴾

بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

## وما الذي بعث على بني إسرائيل

قومًا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرّية والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه وتبّروا ما علوا تتبيرًا؟



## وما الذي سلّط عليهم أنواعَ العقوبات

مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرّةً بجور الملوك، ومرّةً بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [سورة الأعراف:167].

وفي مسند أحمد [1] من حديث أم سلمة قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمّهم الله بعذابٍ من عنده" فقلت: يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: "بلى" قالت: فكيف يُصنَع بأولئك؟ قال: "يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان".

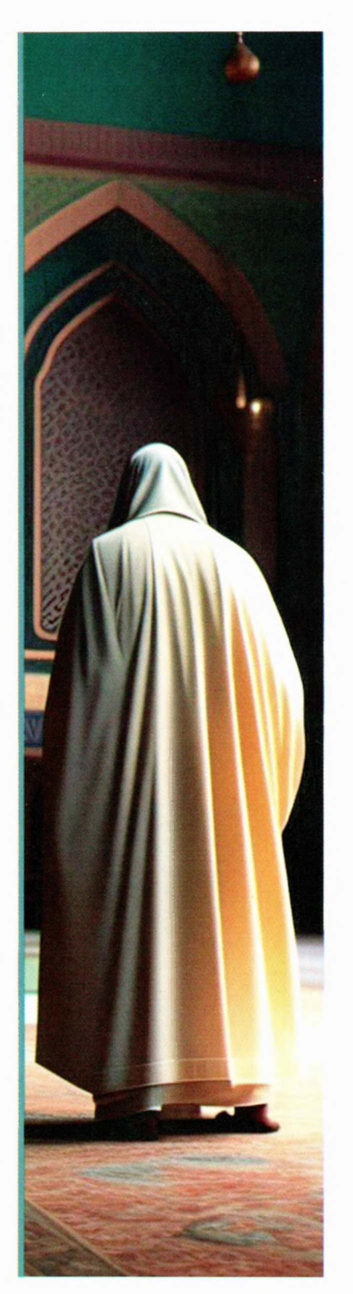
وفي صحيح البخاري [2] عن أنس بن مالك قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إنكم لتعملون أعمالًا هي أدقّ في أعينكم من الشعر، إنْ كنّا لَنعُدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات".

(1) (6/ 304) برقم (26596).

(2) برقم (6492).



وقال الإمام أحمد [1]:

حدثنا الوليد قال: سمعتُ الأوزاعي يقول: سمعتُ بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر مَن عصيتَ؟

وقال الفضيل بن عياض [2]:

بقدر ما يصغر الذنب عندك، يَعْظُمُ عند الله، وبقدر ما يعظم عندك، يَصْغُرُ عند الله.

وذكر عبد الله بن أحمد

في كتاب الزهد لأبيه عن محمّد بن سيرين: أنّه لمّا ركبه الدّينُ اغتمّ لذلك، فقال: إنّي لأعرفُ هذا الغمّ بذنب أصبتُه منذ أربعين سنة!

(1) هو فيه من زوائد عبد الله على الزهد (2276).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (64).

## وها هنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب

وهي أنّهم لا يرون تأثيرَه في الحال، وقد يتأخّر تأثيره فيُنسَى، ويظنّ العبد أنه لا يغبّر بعد ذلك، وأنّ الأمر كما قال القائل:

إذا لم يغبِّرْ حائطٌ في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبارُ

وسبحان الله! ماذا أهلكت هذه البليّة من الخلق!

وكم أزالت من نعمة!

وكم جلبت من نقمة!

وما أكثر المغترّين بها من العلماء، فضلًا عن الجهال!

ولم يعلم المغترّ أنّ الذنب ينقُض، ولو بعد حين، كما ينقُض السمُّ.

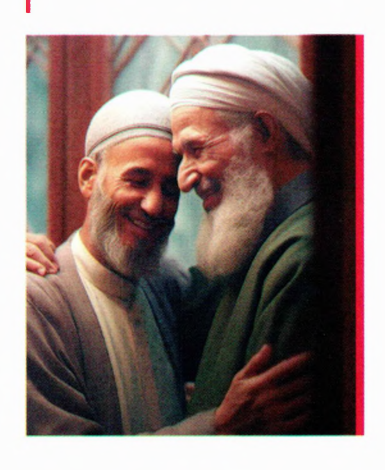
الفصل التاسع

# من الآثار القبيحة للمعاصي

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرّة بالقلب والبدن والدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها:

## 1 حرمان العلم

فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.



ولمّا جلس الشافعيّ بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقّد ذكائه، وكمال فهمه؛ فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية [1].

(1) تاريخ مدينة دمشق (51/ 286).

## 2 حرمان الرزق

وفي المسند[1]: "إنّ العبد لَيُحْرَم الرزقَ بالذنب يصيبه".



وكما أنّ تقوى الله مَجلَبة للرزق، فتركُ التقوى مجلبة للفقر، فما استُجْلِبَ رزقُ الله بمثل ترك المعاصي.

## 3 وحشة يجدها العاصي

في قلبه بينه وبيّن الله

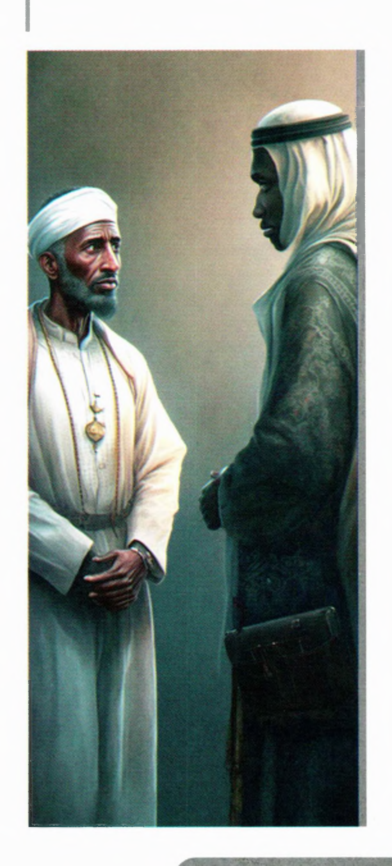


لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذّاتُ الدنيا بأسرها لم تفِ بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحسّ به إلا من في قلبه حياة.

(2) ( 5/ 277)، ورواه ابن ماجه (4022).

## 4 الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس

### ولا سيما أهل الخير منهم



فإنّه يجد وحشةً بينه وبينهم، وكلّما قويت تلك الوحشة بَعُدَ منهم ومن مجالستهم، وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم، وقرُبَ من حزب الشيطان بقدر ما بعُد من حزب الرحمن. وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم، فتقع بينه وبيّن امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبيّن نفسه، فتراه مستوحشًا من نفسه!

وقال بعض السلف [1]:

**إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خُلُق دابّتي وامرأتي.**

(1) من كلام الفضيل بن عياض، انظر: الحلية (109/8).

## 5 تعسير أموره عليه

فلا يتوجّه لأمر إلا يجده مغلقًا دونه، أو متعسّرًا عليه. وهذا كما أنّ من اتقى الله جعل له من أمره يسرًا، فمن عطّل التقوى جعل له من أمره عسرًا.

## 6 ظلمة يجدها في قلبه حقيقةً

يحسّ بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهمّ، فتصير ظلمةُ المعصية لقلبه كالظلمة الحسّية لبصره.

فإنّ الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلّما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتّى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة، وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده.

## 7 أنّ المعاصي توهن القلب والبدن

أما وهنها للقلب، فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية.

وأما وهنها للبدن، فإنّ المؤمن قوته من قلبه، وكلّما قوي قلبه قوي بدنه.



## 8 حرمان الطاعة.

## 9 أن المعاصي تقصّر العمر، وتمحق بركته

ولابدّ؛ فإنّ البرّ كما يزيد في العمر، فالفجور يقصّر العمر.

## 10 أنّ المعاصي تزرع أمثالها ويولّد بعضها بعضًا

حتى يعزّ على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف[1]:

إنّ من عقوبة السيئةِ السيئةَ بعدها، وإنّ من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها.

(1) نسبه شيخ الإسلام إلى سعيد بن جبير، مجموع الفتاوى (10/ 11).

## 11 أنها تُضعف القلبَ عن إرادته

-هو من أخوفها على العبد- أنها تُضعف القلبَ عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.

## 12 أنه ينسلخ من القلب استقباحُها

فتصير له عادةً، فلا يَستقبح من نفسه رؤيةَ الناس له، ولا كلامَهم فيه.



وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتّك وتمام اللذة، حتّى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدّث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: **يا فلان عملتُ كذا وكذا!**

**وهذا الضرب من الناس لا يُعافَون، وتسدّ عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب**

كما قال النبي ﷺ:

"كل أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإنّ من الإجهار أن يستر الله على العبد، ثم يُصبِح يفضَح نفسه، ويقول: يا فلان عملتُ يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيَهتِكُ نفسَه، وقد بات يَستُرُه ربُّه"[1].

(1) أخرجه البخاري (6069)، ومسلم (2990).

## 13 أنّ كل معصيةٍ من المعاصي

فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عز وجل



فاللوطية ميراث عن قوم لوط



وأخذُ الحق بالزائد، ودفعُه بالناقص ميراث عن قوم شعيب



والعلو في الأرض والفساد ميراث عن فرعون وقومه



والتكبّر والتجبر ميراث عن قوم هود

**فالعاصي لابِسٌ ثيابَ بعض هذه الأمم، وهم أعداء الله.**

## 14 أن المعصية سبب لهوانِ العبد على ربه

وسقوطِه من عينه، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال تعالى:

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [سورة الحج:18]

## 15 أن العبد لا يزال يرتكب الذنب، حتّى يهون عليه

ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذنب كلّما صغُر في عين العبد عظُم عند الله.

وقد ذكر البخاري في صحيحه [1] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

"إن المؤمن يرى ذنوبه كأنّه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه. وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا، فطار".

(1) برقم (6308).

## 16 أنّ غيره من الناس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنوبه

فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم.

## 17 أنّ المعصية تورث الذلّ، ولابدّ

فإنّ العزّ كلّ العزّ في طاعة الله تعالى، قال تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [سورة فاطر:10]

أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنّه لا يجدها إلا في طاعته.

## 18 أنّ المعاصي تفسد العقل



فإنّ للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل، ولابدّ؛ وإذا طفِئ نورُه ضعُفَ ونقَصَ.

## 19 أنّ الذنوب إذا تكاثرت طُبِعَ على قلب صاحبها




## 20 أنّ الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ

فإنّه لعن على معاصٍ، وغيرُها أكبرُ منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة.

(1) أخرجه البيهقي في الشعب (6812).

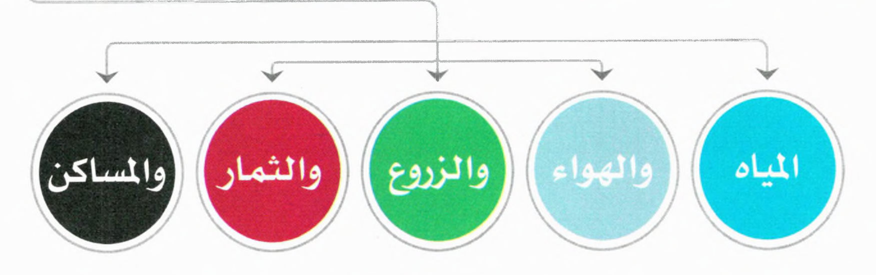
## 21 حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة

فإنّ الله سبحانه أمر نبيّه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة غافر: 7-9].



## 22 أنها تُحدِث في الأرض أنواعًا من الفساد في




**قال تعالى:**

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم:41]

### ومن تأثير معاصي الله في الأرض:

**ما يحِل بها من الخسف، والزلازل، ومَحْقِ بركتِها.**





## 23 أنّها تطفئ من القلب نارَ الغَيرة

التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغيرة حرارته وناره التي تُخرج ما فيه من الخَبَث والصفات المذمومة، كما يُخرج الكِيرُ خَبَث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم همّةً أشدُّهم غيرة على نفسه، وخاصته، وعموم الناس.



وفي الصحيح [1] قال ﷺ:

"لا أحدَ أغيرُ من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشِّرين ومنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه".

## 24 ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب

وهو أصل كل خير، وذهابُه ذهابُ الخير أجمعه.

(1) أخرجه البخاري (4634)، ومسلم (2760).

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال[1]:

"الحياء خير كله".

## 25 أنّها تُضعِف في القلب تعظيمَ الربّ جل جلاله

وتُضْعِف وقارَه في قلب العبد، ولابدّ، شاء أم أبى، ولو تمكّن وقارُ الله وعظمتُه في قلب العبد لما تجرّأ على معاصيه.

## 26 أنّها تستدعي نسيانَ الله لعبده

وتركَه، وتخليتَه بينه وبيّن نفسه وشيطانه، وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.

قال تعالى:

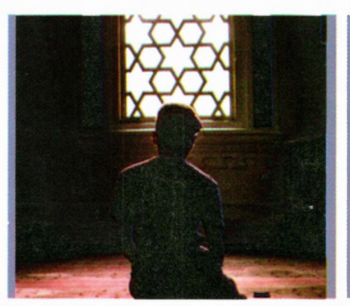
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحشر:18-19]

(1) أخرجه مسلم(37).

## 27 أنّها تُخرِجُ العبدَ من دائرة الإحسان، وتمنعه ثوابَ المحسنين

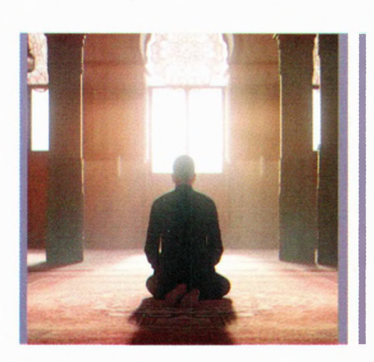
فإنّ الإحسان إذا باشر القلبَ منَعَه من المعاصي، فإن من عَبَدَ الله كأنّه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبيّن إرادة المعصية، فضلًا عن مُواقعتها.

## 28 أنها تُضْعِفُ سيرَ القلب إلى الله والدار الآخرة



أو تعوقه، أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدَعه يخطو إلى الله خطوةً، هذا إن لم تردّه عن وجهته إلى ورائه! فالذنبُ يحجب الواصل، ويقطع السائر، ويُنكّس الطالب.

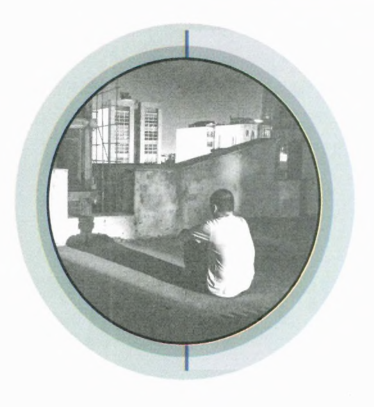
## 29 أنها تُزيل النِّعم وتُحلّ النِّقَم



فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاءً إلا بتوبة[1].

(1) نسبه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (8/ 163) إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وقد ورد من دعاء العباس بن عبد المطلب،أخرجه ابن عساكر في تاريخه (26/ 359).

## 30 ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي

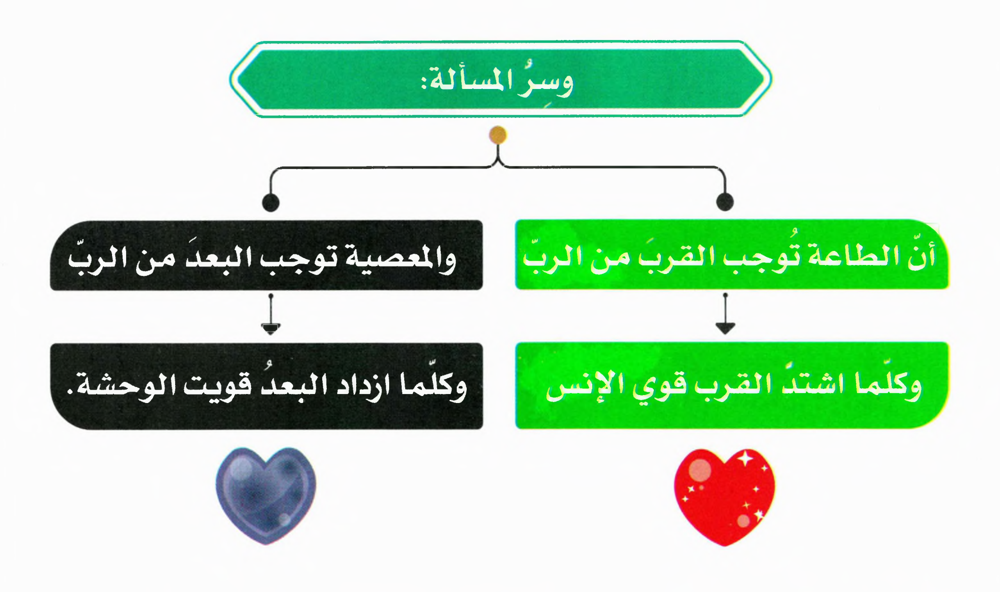


فلا تراه إلّا خائفًا مرعوبًا، فإنّ الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة.

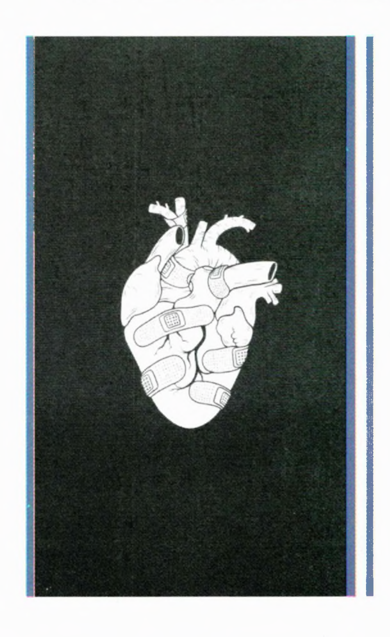
## 31 أنها تُوقعُ الوحشةَ العظيمةَ في القلب



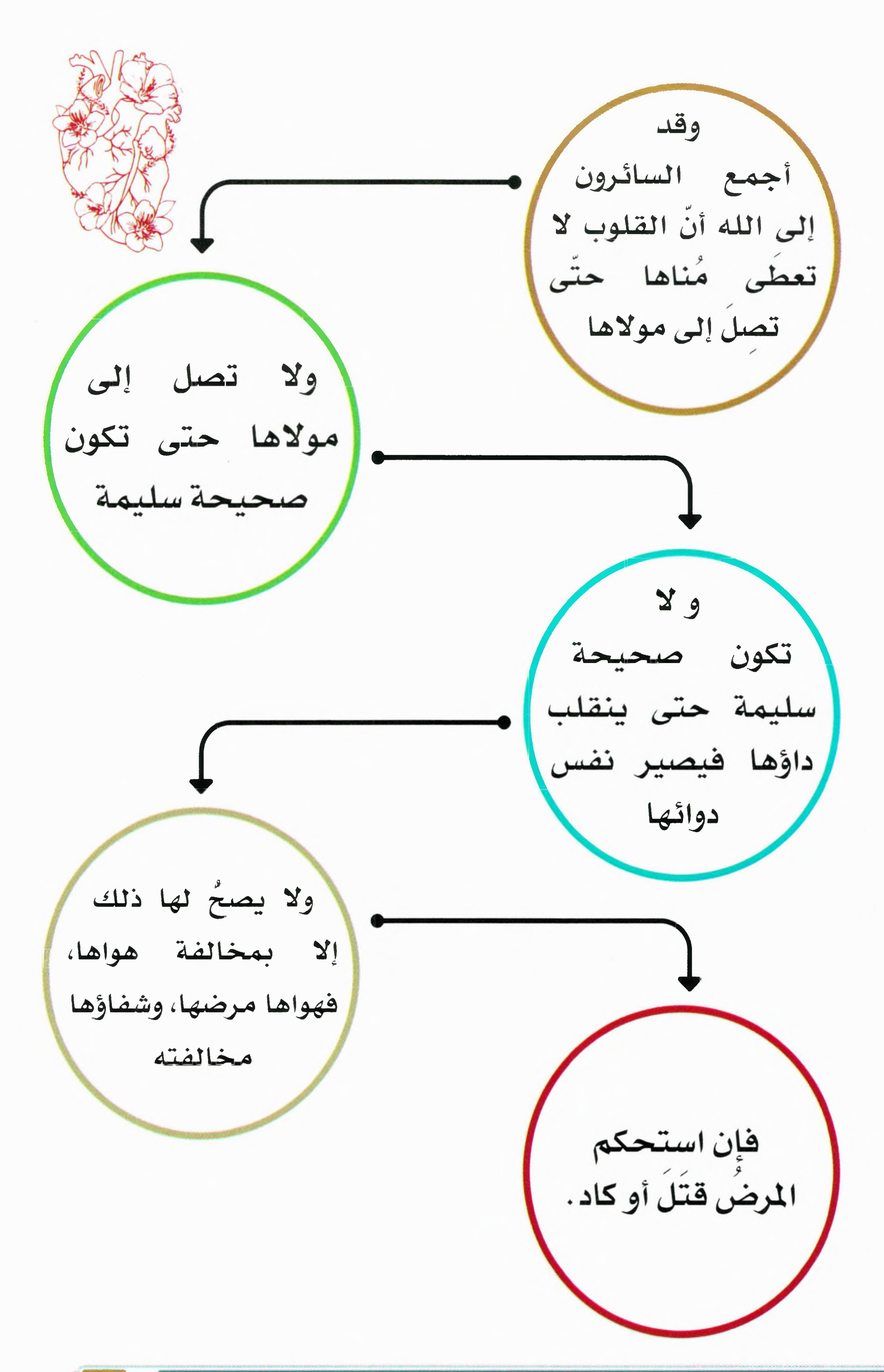
فيجد المذنب نفسَه مستوحشًا، قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه.



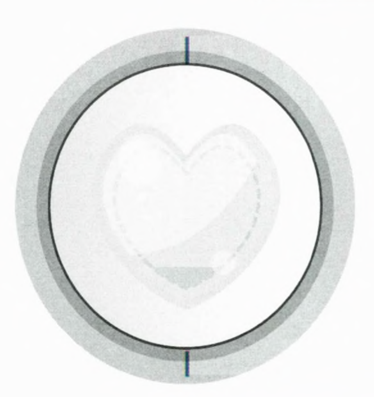

## 32 أنها تصرفُ القلبَ عن صحّته واستقامته



إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضًا معلولًا، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإنّ تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها، ولا دواء لها إلا تركها.


وقد
أجمع السائرون
إلى الله أنّ القلوب لا
تعطَى مُناها حتّى
تصِلَ إلى مولاها
ولا تصل إلى
مولاها حتى تكون
صحيحة سليمة
و لا
تكون صحيحة
سليمة حتى ينقلب
داؤها فيصير نفس
دوائها
ولا يصحُ لها ذلك
إلا بمخالفة هواها،
فهواها مرضها، وشفاؤها
مخالفته
فإن استحكم
المرضُ قتَلَ أو كاد.

## 33 أنّها تُعمي بصيرَة القلب



وتطمِس نورَه، وتسدُّ طرق العلم، وتحجب موادّ الهداية.

## 34 أنّها تصغّر النفس

وتقمَعها، وتدسّيها، وتحقّرها، حتى تصير أصغر شيء وأحقره، كما أنّ الطاعة تنمّيها وتزكّيها وتكبّرها

**قال تعالى:**

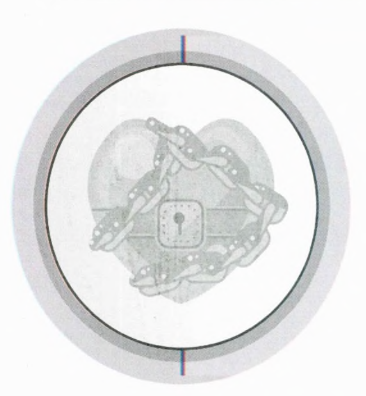
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس:9-10]

**والمعنى:**

قد أفلح من كَبّرَها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها.

وقد خسرَ من أخفاها وحقّرها وصغّرها بمعصية الله.

## 35 أنّ العاصي دائمًا في أسْر شيطانه



وسجن شهواته، وقيود هواه؛ فهو أسير مسجون مقيد.

## 36 سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه

فإنّ أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلةً أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده.



## 37 أنّها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف

### وتكسوه أسماء الذمّ والصَّغار

فتسلبـــه اسم المؤمـــن، والبرّ، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولـــي، والورِع، والمصلح، والعابـــد، والخائـــف، والأوّاب، والطيّب، والمرضي، ونحوها.



وتكســوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفســد، والخبيــث، والمسخوط، والزاني، والسارق، والقاتل، والكاذب، والخائـــن، واللوطـــي، والغادر، وقاطع الرحم، وأمثالها.

## 38 أنها تؤثّر بالخاصّية في نقصان العقل

فلا تجد عاقلَين أحدهما مطيع لله، والآخر عاص، إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصحّ، ورأيه أسدّ، والصواب قرينه.

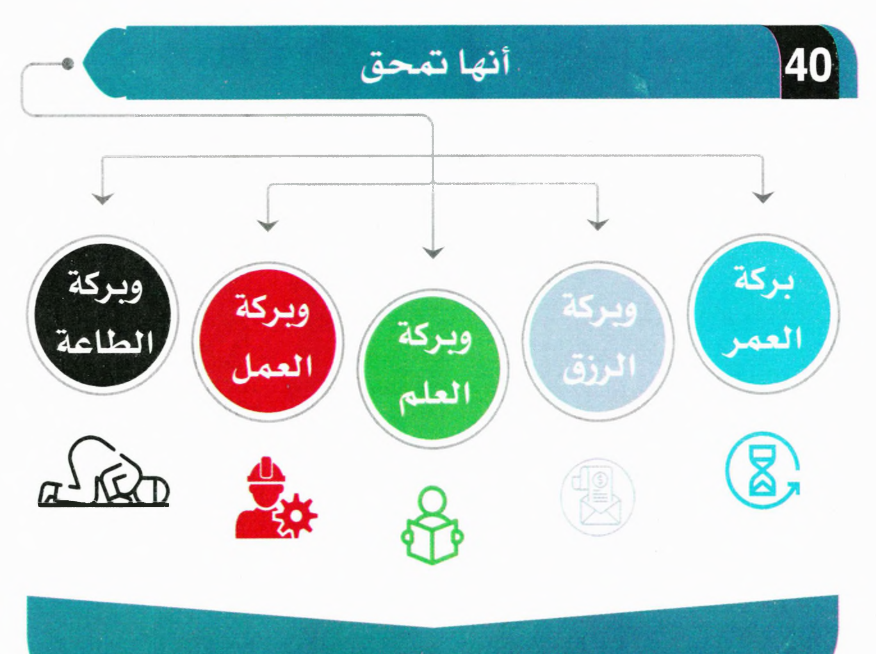
ولهذا تجد خطاب القرآن إنما هو مع أولي العقول والألباب، كقوله:

﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [سورة البقرة 197]

## 39 أنها توجب القطيعة بين العبد وبيّن ربه تبارك وتعالى

وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير، واتصلت به أسباب الشرّ.

## 40 أنها تمحق




وبالجملة، تمحق بركة الدين والدنيا.

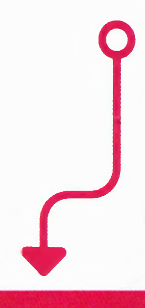
## 41 أنها تجعل صاحبَها من السِّفْلة

بعد أن كان مُهَيَّأً لأن يكون من العِلْية. فكلّما عمل العبد معصيةً نزل إلى أسفل درجة، ولا يزال في نزول حتى يكون من الأسفلين. وكلّما عمل طاعة ارتفع بها درجة، ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلَين، وقد يجتمع للعبد في أيام حياته الصعود من وجه، والنزول من وجه، وأيّهما كان أغلب عليه كان من أهله، فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة واحدة كمن كان بالعكس.

## 42 أنّها تُجرِّئ على العبد من لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات

فيجترئ عليه الشياطين بالأذى، والإغواء، والوسوسة، والتخويف، والتحزين، وإنسائه ما مصلحتُه في ذكره، ومضرّتُه في نسيانه؛ فتجترئ عليه الشياطين حتّى تؤزه إلى معصية الله أزًا.

ويجترئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره، ويجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه، حتّى الحيوان البهيم!



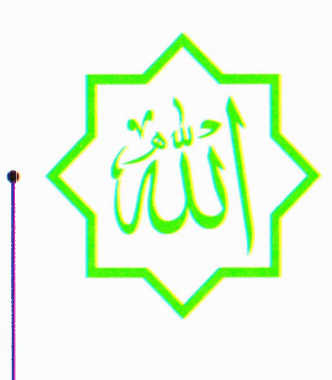
**قال بعض السلف:**

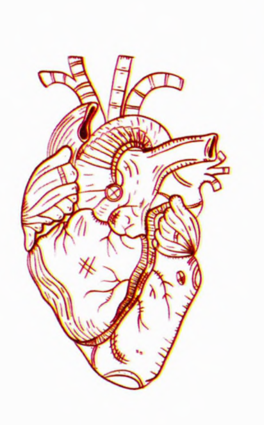
"إنّي لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابّتي"[1].

(1) من كلام الفضيل بن عياض، وقد تقدَّم ص 43.

## 43 أنّها تخون العبدَ أحوجَ ما يكون إلى نفسه

والمقصود أنّ العبد إذا وقع في شدّة أو كربة أو بلية خانه قلبُه ولسانُه وجوارحُه عمّا هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكّل على الله، والإنابة إليه، والجمعيّة عليه، والتضرّع والتذلّل والانكسار بين يديه.





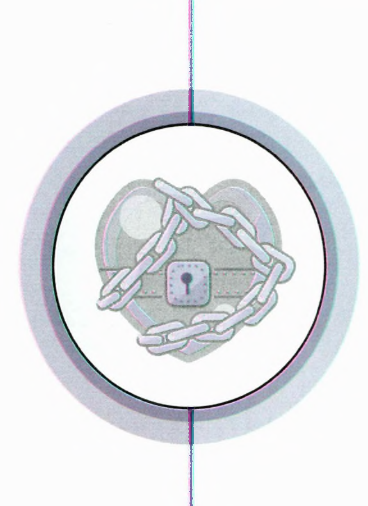
ولا يطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه، فينحبسَ القلب على اللسان بحيث يؤثّر الذكر، ولا ينحبسُ القلب واللسان على المذكور، بل إن ذكَرَ أو دعا ذكَرَ بقلب لاهٍ ساهٍ غافل.

ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقَدْ له، ولم تطاوعه.

هذا، وثَمّ أمرٌ أخوَفُ من ذلك وأدهى منه وأمرّ، وهو أن يخونه قلبُه ولسانُه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فربما تعذّر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناسُ كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك.



## 44 أنّها تعمي القلب



فإن لم تُعْمِه أضعفَتْ بصيرتَه، ولابدّ، فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى، وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره، بحسب ضعف بصيرته وقوته.

## 45 أنّها مددٌ من الإنسان يُمدّ به عدوّه عليه

وجيشٌ يقوّيه به على حربه، والمقصود أن الذنوب والمعاصي سلاحٌ ومددٌ يُمِدُّ بها العبدُ أعداءه، ويعينهم بها على نفسه، فيقاتلونه بسلاحه، ويكون معهم على نفسه، وهذا غايةُ الجهلِ.

## 46 أنها تُزيل النِّعَمَ الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة



فتُزيل الحاصلَ، وتمنع الواصلَ، فإنّ نعم الله ما حُفظ موجودُها بمثل طاعته، ولا استُجْلِبَ مفقودُها بمثل طاعته، فإنّ ما عنده لا يُنال إلا بطاعته.

## 47 أنها تباعد عن العبد وليّه

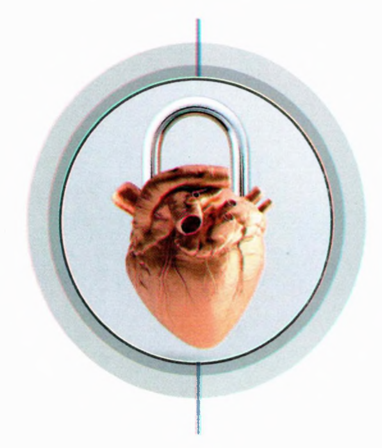
وأنفعَ الخلقِ له، وأنصحَهم له، ومَن سعادتُه في قربه منه، وهو الملَك الموكّلُ به، وتُدني منه عدوّه، وأغشّ الخلق له وأعظمَهم ضررًا له، وهو الشيطان، فإنّ العبد إذا عصى الله تباعد منه الملَك بقدر تلك المعصية، حتّى إنّه يتباعد عنه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة.

## 48 أنّها تستجلب موادّ هلاك العبد في دنياه وآخرته

فإنّ الذنوب هي أمراض متى استحكمَت قتلَت، ولابدّ.

## 49 الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار

والإقفال على القلوب، وجعل الأكنّة عليها، والرين عليها والطبع، وتقليب الأفئدة والأبصار، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الربّ



وإنساء الإنسان نفسه، وترك إرادة الله تطهيرَ القلب، وجعل الصدر ضيّقًا حرجًا كأنما يصعّد في السماء، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها مرضًا على مرضها.

## 50 التثبيط عن الطاعة والإقعاد عنها.



## 51 جعل القلب أصمَّ لا يسمع الحقَّ

أبكم لا ينطق به، أعمى لا يراه.



## 52 الخسف بالقلب، كما يخسف بالمكان وما فيه

فيخسف به إلى أسفل سافلين، وصاحبه لا يشعر، وعلامة الخسف به أن لا يزال جوّالًا حول السفليات والقاذورات والرذائل

كما أنّ القلب الذي رفعه الله وقرّبه إليه لا يزال جوّالًا حول البر والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق.

## 53 مسخ القلب، فيُمسَخ كما تمسخ الصورة

فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته



فمن القلوب ما يمسَخ على خُلُق خنزير لشدة شبه صاحبه به



ومنها ما يمسخ على خُلُق كلب أو حمار أو حيّة أو عقرب وغير ذلك.

## 54 مكر الله بالماكر، ومخادعته للمخادع

واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته لقلب الزائغ عن الحق.

## 55 نكسُ القلب



حتى يرى الباطل حقًّا والحق باطلًا، والمعروف منكرًا والمنكرَ معروفًا، ويُفسد ويرى أنه يُصلح، ويصدّ عن سبيل الله وهو يرى أنه يدعو إليها، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنّه على الهدى، ويتّبع هواه وهو يزعم أنه مطيع لمولاه.

## 56 حجاب القلب عن الربّ في الدنيا

والحجاب الأكبر يوم القيامة، كما قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:14-15]

## 57 المعيشة الضَّنْك في الدنيا وفي البرزخ

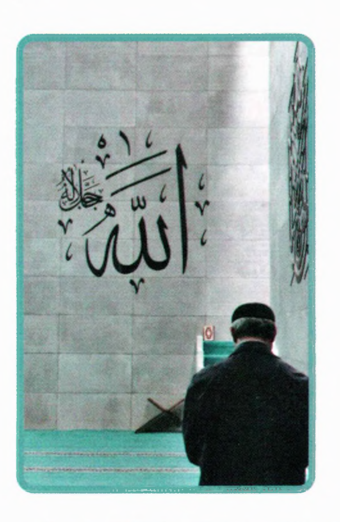


والعذاب في الآخرة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:124]



فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده.



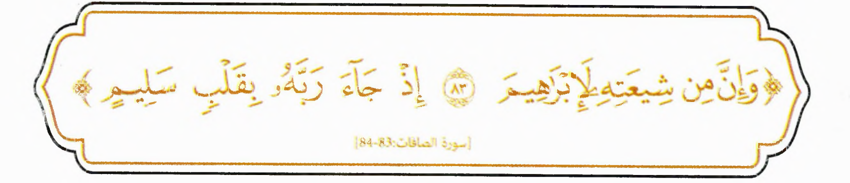

ولا تقَرُّ العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حقّ، وكلّ معبود سواه باطل.

وإنّ طيبَ النفس وسرورَ القلب وفرحَه ولذّتَه وابتهاجَه وطمأنينتَه وانشراحَه ونورَه وسعتَه وعافيتَه من الشهوات المحرّمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه، فقد كان يقول بعض من ذاقَ هذه اللذّة: لو علمَ الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدُونا عليه بالسُّيوف[1].

وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برّ القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الربّ تعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟

(1) هو إبراهيم بن أدهم، في الحلية (7/ 429)، انظر: الوابل الصيب (110).

## وقد أثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه فقال:




## وقال حاكيًا عنه أنه قال:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء:88-89]





## والقلب السليم:

هو الذي سلم من الشرك، والغلّ، والحقد، والحسد، والشحّ، والكبر، وحبّ الدنيا والرياسة. فسلِمَ من كلّ آفة تُبعده من الله، وسلِمَ من كلّ شبهة تعارض خبرَه، ومن كلّ شهوة تعارض أمرَه، وسلِمَ من كل إرادة تزاحم مراده، وسلِمَ من كلّ قاطع يقطع عن الله؛ فهذا القلب السليم في جنّة معجّلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي الجنّة يوم المعاد.

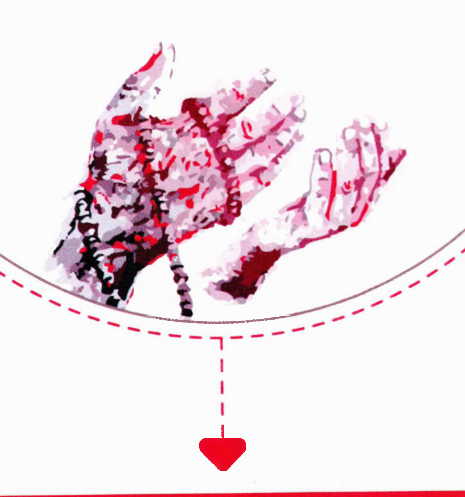
ولا تتمّ له سلامته مطلقًا حتى
يسلَم من خمسة أشياء:

1. من شركٍ يناقض التوحيد
2. وبدعةٍ تخالف السنّة
3. وشهوةٍ تخالف الأمر
4. وغفلةٍ تناقض الذكر
5. وهوى يناقض التجريد والإخلاص

وهذه الخمسة حُجُب عن الله، وتحتَ كل واحدٍ منها
أنواع كثيرة تتضمّن أفرادًا لا تنحصر.

ولذلك

اشتدّت حاجة العبد بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراطَ المستقيمَ، فليس العبدُ أحوجَ منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء انفعَ له منها.



## فمِنْ أعظم عقوبات الذنوب:

الخروج عن الصراط المستقيم

في الدنيا والآخرة.

# زجر الشارع عن المعاصي بالعقوبات

فإن لم تَرُعْك هذه العقوبات، ولم تجد لها تأثيرًا في قلبك، فأحضرِ العقوباتِ الشرعيةَ التي شرعها الله ورسوله على الجرائم، كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم، وقطَع اليدَ والرجلَ في قطع الطريق على معصوم المال والنفس، وشقَّ الجلدَ بالسوط على كلمة قذفٍ لمحصَن، أو قطرةِ خمرٍ يُدخِلها جوفَه، وقتَلَ بالحجارة أشنعَ قتلةٍ في إيلاج الحشفة في فرج حرام، وخفّف هذه العقوبة عمّن لم يتم عليه نعمة الإحصان بمائة جَلدةٍ ونفي سنة عن وطنه وبلده إلى بلاد الغربة، وفرّق بين رأس العبد وبدنه إذا وقع على ذاتِ رحمٍ محرّم منه، أو ترَكَ الصلاةَ المفروضة، أو تكلم بكلمة كفر، وأمر بقتلِ من وطئ ذكرًا مثله وقتلِ المفعول به، وأمر بقتل من أتى بهيمةً وقتل البهيمة معه، وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في الجماعة، وغير ذلك من العقوبات التي رتّبها على الجرائم، وجعلها بحكمته على حسب الدواعي إلى تلك الجرائم، وحسب الوازع عنها.

فما

كان الوازع عنه طبيعيًا

وليس في الطباع داعٍ إليه اكتفى

فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتّب

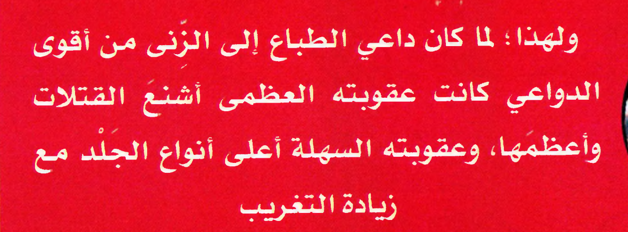
عليه حدًا كأكل الرجيع، وشرب الدم،

وأكل الميتة، وما كان في الطباع داعٍ

إليه رتّب عليه من العقوبة

بقدر مفسدته وبقدر

داعي الطبع إليه.

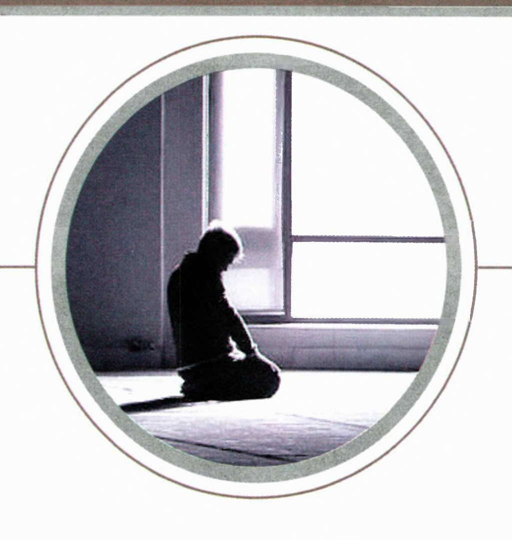


ولهذا؛ لما كان داعي الطباع إلى الزِّنى من أقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى أشنعَ القتلات وأعظمَها، وعقوبته السهلة أعلى أنواع الجَلْد مع زيادة التغريب



ولما كان اللواط فيه الأمران كان حدّه القتل بكل حالٍ، ولما كان داعي السرقة قويًا، ومفسدتها كذلك، قطع فيها اليد.

# أقسامُ الذُّنُوب



ولما كانت الذنوب متفاوتةً في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتُها.

ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام:




ولا تخرج عن ذلك.

## 1 فالذنوب الملَكِيّة:

أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلوّ، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

ويدخل في هذا: الشركُ بالربّ تعالى، وهو نوعان:

1. شركٌ به في أسمائه وصفاته، وجعلُ آلهةٍ أخرى معه
2. وشركٌ به في معاملته

وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار، وإن أحبط العملَ الذي أُشرِكَ فيه مع الله غيرُه.

## وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب:

ويدخل فيه القولُ على الله بلا علم في خلقه وأمره؛ فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيتَه ومُلكَه، وجعل له ندًّا، وهذا أعظم الذنوب عند الله، ولا ينفع معه عمل.



## 2 وأما الشيطانية:

فالتشبُّه بالشيطان في الحسد، والبغي، والغشِّ والغلِّ، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله وتحسينِها، والنهي عن طاعته، وتهجينِها، والابتداع في دينه، والدعوة إلى البدع والضلال.

وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة، وإنْ كانت مفسدته دونه.



## 3 وأما السَبُعيَة:

فذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثُب على الضعفاء والعاجزين، ويتولُد منها أنواع أذى النوع الإنساني، والجرأة على الظلم والعدوان.

4 

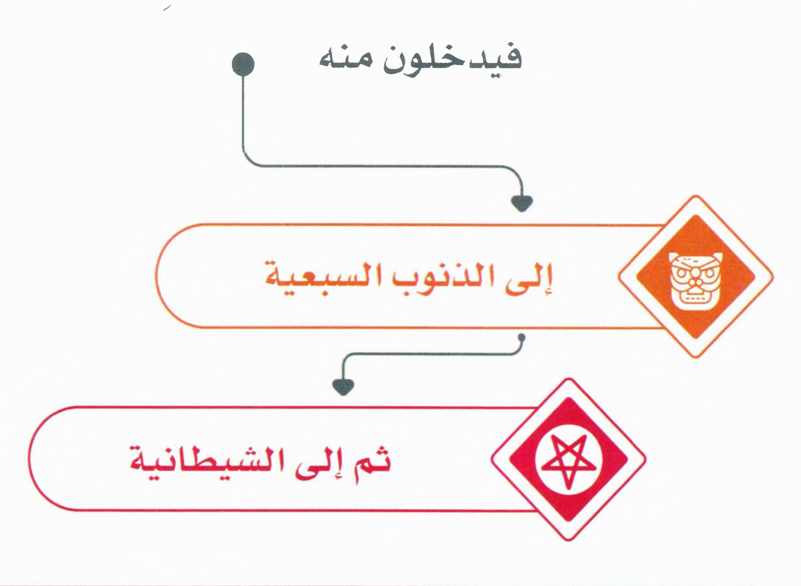
وأما البهيمية:

مثل الشَّرَه والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولَّد

- الزنى
- وأكل أموال اليتامى
- والسرقة
- والشحُ
- والبخل
- والجبن
- والهلع
- والجزع

وغير ذلك.

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجرُهم إليها بالزِّمام،




ثم إلى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية.




(1) الدِّهليز بكسر الدّال: ما بين الباب والدار، فارسي معرب. الصحاح (3/ 878).

## الفصل الثاني عشر

# الذنوبُ صِغائر وكبائِر



وقد دلّ القرآنُ والسنّةُ وإجماعُ الصحابةِ والتابعينَ بعدهم والأئمّةِ على أنّ من الذنوب كبائرَ وصغائرَ، قال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [سورة النساء:31] .

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [سورة النجم:32]

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

"الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّراتٌ لما بينهنّ، إذا اجتُنِبَت الكبائر" [1].

(1) أخرجه مسلم، (233)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## وهذه الأعمال المكفّرة لها ثلاث درجات:

إحداها: أن تقصّر عن تكفير الصغائر، لضعفِها وضعفِ الإخلاص فيها والقيام بحقوقها؛ بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة الدّاء كميّةً وكيفيةً.

الثانية: أن تقاوم الصغائرَ، ولا ترتقي إلى تكفير شيء من الكبائر.

الثالثة: أن تقوَى على تكفير الصغائر، وتبقى فيها قوةٌ تكفِّر بها بعضَ الكبائر.

**فتأمّلْ هذا؛ فإنّه يزيل عنك إشكالات كثيرة.**

واختلف الناس في الكبائر، هل لها عدد يحصرها؟

على قولين.

ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها[1].

والذين لم يحصروها بعدد، منهم من قال:

ما اقترن بالنهي عنه وعيدٌ من لعن أو غضب أو عقوبة فهو كبيرة، وما لم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة[2].

(1) من هذه الأقوال، ينظر: تفسير الطبري (8/ 235، 238، 245).

(2) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (2/ 444).

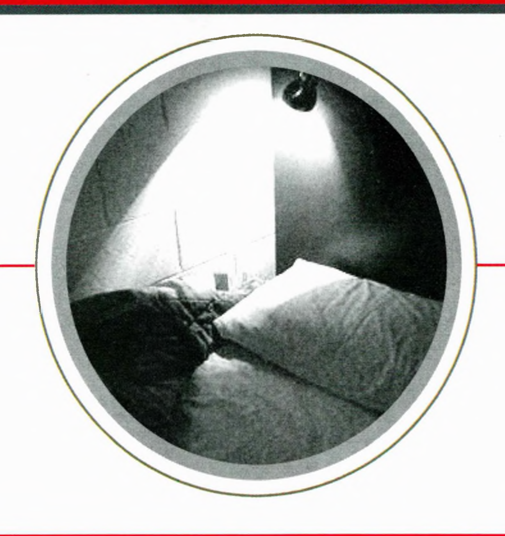
## والذين لم يقسموها إلى كبائر وصغائر[1] قالوا:

الذنوب كلها بالنسبة إلى الجراءة على الله سبحانه ومعصيته ومخالفة أمره كبائر، فالنظر إلى من عُصيَ أمرُه وانتُهكت محارمُه يوجب أن تكون الذنوب كلُّها كبائر، وهي مستوية في هذه المفسدة.

(1) ينظر: الفتح لابن حجر (10/ 409).

الفصل الثالث عشر

# مَفْسَدةُ الزِّنا من أعظمِ المفاسد



## ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد

وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقِّي ما يُوقع أعظمَ العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كلٍّ منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمِّه، وفي ذلك خراب العالم كانت تلي مفسدة القتل في الكِبَر؛ ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه، ورسولُه صلى الله عليه وسلم بها في سنته.

## قال الإمام أحمد:

**ولا أعلم بعد قتل النفس شيئًا أعظم من الزنا[1].**

**وقد أكد سبحانه حرمته بقوله:**

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾

[سورة الفرقان: 68-70]

فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك الخلودَ في العذاب المضاعف مالم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح.

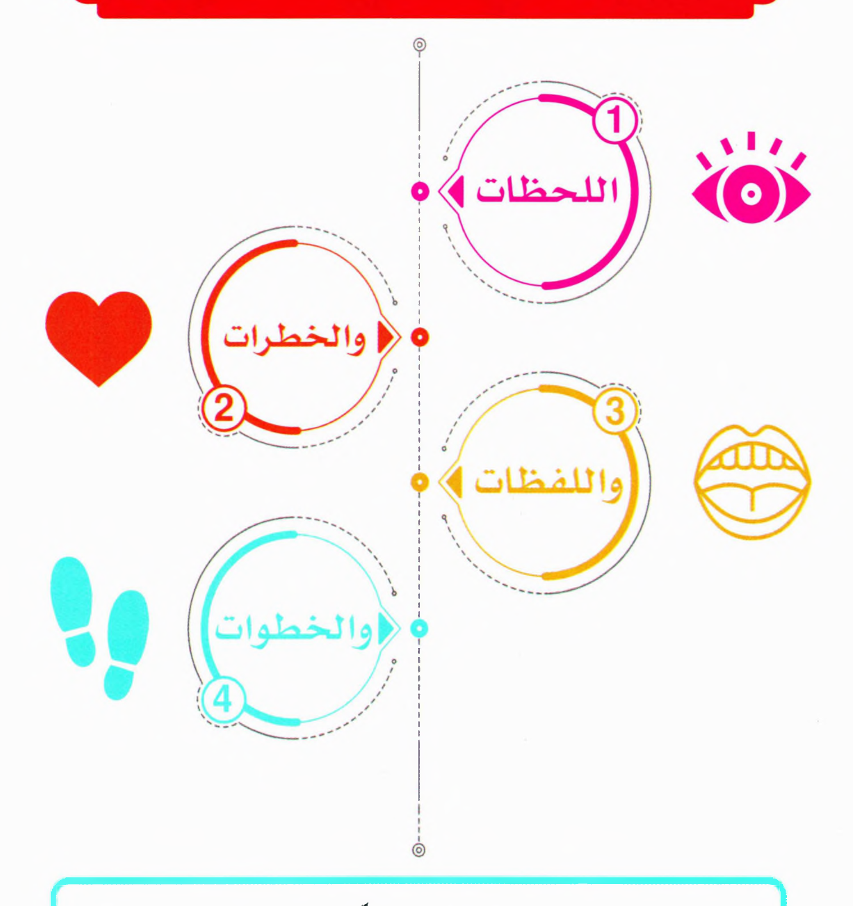
(1) نقله عنه المؤلف في روضة المحبين (497).

وأمر تعالى نبيّه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغضّ أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يُعلمَهم أنّه مشاهد لأعمالهم، مطلع عليها ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[سورة غافر:19] .



ولمّا كان مبدأ ذلك من قِبَل البصر جعل الأمرَ بغضّه مقدّمًا على حفظ الفرج، فإنّ الحوادث مبدؤُها من النظر، كما أنّ معظم النار من مستصغَر الشرر، فتكون نظرة، ثم خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة.

## ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينَه:




فينبغي للعبد أن يكون بوّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل عليه العدوُّ، فيجوسُ خلال الديار، ويتبِّر ما عَلا تتبيرًا!

# أبواب دخول المعاصي على العبد



وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة:



## 1 فأما اللحظات: (ه)

فهي رائد الشهوة ورسولها،

وحفظها أصلُ حفظ الفرج.

فمن أطلق بصره أورده موارد

الهلَكات.

**وقال النبي ﷺ:**

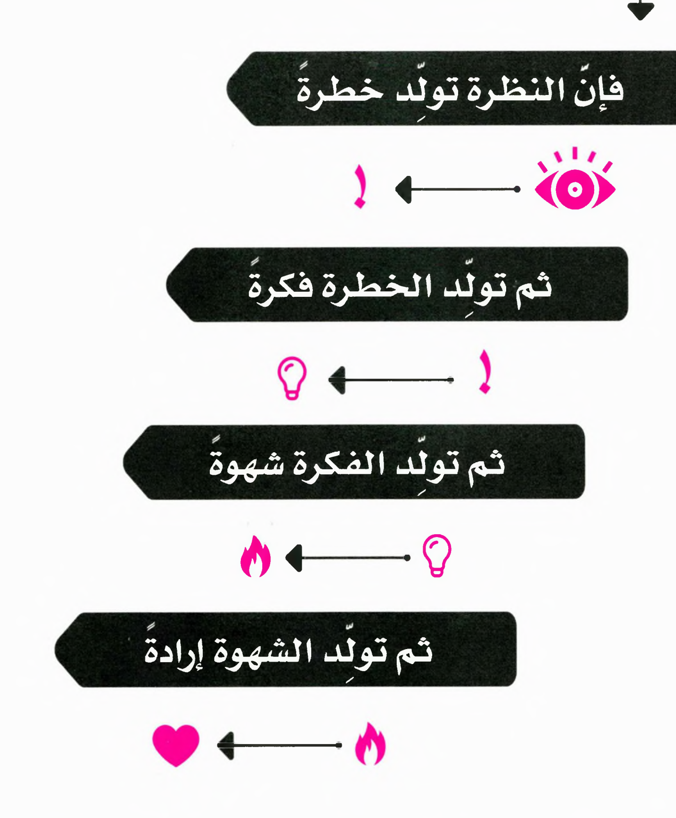
"لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ، فإنّما لك الأولى، وليست لك الآخِرة"[1].

**وقال النبي ﷺ:**

"إيّاكم والجلوس على الطرقات" قالوا: يا رسول الله، مجالسُنا ما لنا منها بد. قال: "فإن كنتم لابدّ فاعلين، فأعطوا الطريق حقَّه" قالوا: وما حقُّه؟ قال: "غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام" [2].

(1) أخرجه أبو داود (2149)، والترمذي (2777).

(2) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري (2465)، ومسلم (2121).




ثم تقوى فتصير عزيمةً جازمةً، فيقع الفعل، ولا بدّ، ما لم يمنع منه مانع.

**وفي هذا قيل:**

**الصبر على غضّ البصر أيسرُ من الصبر على ألم ما بعده[1].**

**قال الشاعر[2]:**

كلُّ الحوادث مبداها من النظرِ ... ومعظمُ النار من مستصغَر الشرر

كم نظرةٍ بلغت من قلب صاحبها ... كمبلغ السهم بين القوس والوتَرِ

والعبد ما دام ذا طَرْفٍ يقلّبه ... في أعين العِين موقوفٌ على الخطرِ

يسرُّ مُقلتَه ما ضرَّ مُهجتَه ... لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضررِ

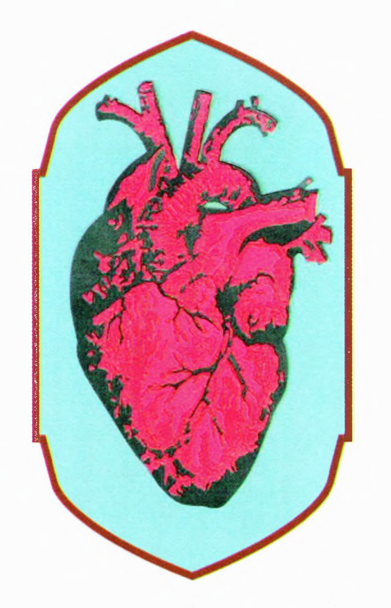
**ومن آفات النظر:**

أنّه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه، وهذا من أعظم العذاب أن ترى ما لا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة لك على بعضه.

**وقد قيل: حبسُ اللّحَظاتِ أيسرُ من دوام الحسَرات.**

(2) ينظر: نحوه لزياد مولى ابن عياش في ذم الهوى (61).

(2) الأبيات الأربعة في روضة المحبين، والبيتان الأخيران وردَا في المدهش (296).



## 2 وأما الخطرات: 

فشأنها أصعب، فإنّها مبدأ الخير والشرّ، ومنها تتولّد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراتِه ملَكَ زمامَ نفسه، وقهر هواه، ومن غلبَتْه خطراتُه فهواه ونفسه له أغلَب، ومن استهان بالخطرات قادته قسرًا إلى الهلكات.

**ولا تزال الخطرات تتردّد على القلب حتى تصير مُنًى باطلة**

﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة النور:39]

وأخسُّ الناس همّةً وأوضعهم نفسًا من رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة، واستجلبها لنفسه، وتحلّى بها، وهي -لعمر الله- رؤوس أموال المفلسين، ومتاجر البطّالين، وهي قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزَورة الخيال، ومن الحقائق بكواذب الآمال.

فالقلب لوح فارغ، والخواطر نقوش تُنْقَش فيه، فكيف يليق بالعاقل أن تكون نقوش لوحه ما بين كذب، وغرور، وخدع، وأماني باطلة، وسراب لا حقيقة له؟ فأيّ حكمة وعلم وهدًى ينتقش مع هذه النقوش؟ وإذا أراد أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محلٍّ مشغول بكتابة ما لا منفعة فيه، فإنْ لم يُفرِّغ القلبَ من الخواطر الرديّة لم يستقرّ فيه الخواطر النافعة، فإنّها لا تستقرُّ إلا في محل فارغ.

## 3 وأما اللَّفَظات:



فحفظها بأن لا يُخرِجَ لفظةً ضائعةً، بل لا يتكلّم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر؛ هل فيها ربح وفائدة أم لا ؟ فإنْ لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر؛ هل يفوته بها كلمةٌ هي أربح منها، فلا يضيِّعها بهذه.

وإذا أردت أن تستدلّ على ما في القلب، فاستدِلّ عليه بحركة اللسان، فإنّه يُطلِعُ ما في القلب، شاء صاحبه أم أبى.



**قال يحيي بن معاذ:**

القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر الرجل حين يتكلّم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه؛ حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغترافُ لسانه[1].

**وسُئِل ﷺ عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ، فقال:**

"الفمُ والفرْجُ"[2].

ومن العجب أنّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرّم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجلَ يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلّم بالكلمات من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا، يزِلُّ بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب!

وكم ترى من رجلٍ متورِّعٍ عن الفواحش والظلم، ولسانه يَفْرِي في أعراض الأحياء والأموات، ولا يُبالي ما يقول!

(1) حلية الأولياء (10/ 67).

(2) الترمذي (2004)، وابن ماجه (4246).

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ:

"إنَّ العبد لَيتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم".




(1) البخاري (6478)، ومسلم (2988)، وهذا لفظ البخاري.

(2) ينظر: تفسير الطبري (21/ 424)، ومجموع الفتاوى (7/ 49).

## 4 وأما الخطوات:



فحفظها بأن لا يثقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم يكن في خُطاه مزيدُ ثواب، فالقعود عنها خير له، ويمكنه أن يستخرج من كلِّ مباح يخطو إليه قربةً ينويها لله، فتقع خطاه قربةً.

ولما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل، وعثرة اللسان جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [سورة الفرقان:63]

فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [سورة غافر:19]

الفصل الخامس عشر

# عُقوبات الزِّنا



وهذا كلُّه ذكرناه مقدِّمةً بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج.

## وفي الصحيحين [1] قال النبي ﷺ:

"لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

(1) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري (6878)، ومسلم (1676).

وبدأ رسول الله ﷺ بالأكثر وقوعًا، ثم بالذي يليه

فالزنا أكثر وقوعًا من قتل النفس

وقتل النفس أكثر وقوعًا من الردّة

وأيضًا فإنّه انتقال من الأكبر إلى ما هو أكبر منه.

ومفسدة الزنا مناقِضة لصلاح العالم، فإنّ المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها، ونكست رؤوسهم بين الناس، وإن حملتْ من الزنا، فإنْ قتلَتْ ولدها جمعت بين الزنا والقتل، وإن حمّلته الزوجَ أدخلَتْ على أهله وأهلها أجنبيًّا ليس منهم فورِثهم وليس منهم، ورآهم، وخلا بهم، وانتسب إليهم، وليس منهم، إلى غير ذلك من مفاسد زناها





وأما زنا الرجل فإنّه يوجب اختلاط الأنساب أيضًا، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضَها للتلف والفساد.

وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين، وإن عَمَرت القبورَ في البرزخ، والنار في الآخرة! فكم في الزنا من استحلال محرّمات، وفوات حقوق، ووقوع مظالم!

ومن خاصيّته: أنه يوجب الفقر، ويُقَصِّرُ العمرَ، ويكسو صاحبه سوادَ الوجه وثوبَ المقت بين الناس.

ومن خاصيّته أيضًا: أنّه يشتّت القلب، ويُمرِضه إن لم يُمِتْه، ويجلب الهمّ والحزن والخوف، ويباعد صاحبه من المَلَك، ويقرِّب منه الشيطان.

فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته، ولهذا شُرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشِها وأصعبِها، ولو بلغ العبدَ أنّ امرأته أو حُرمته قُتِلتْ كان أسهلَ عليه من أن يبلُغه أنّها زنت.

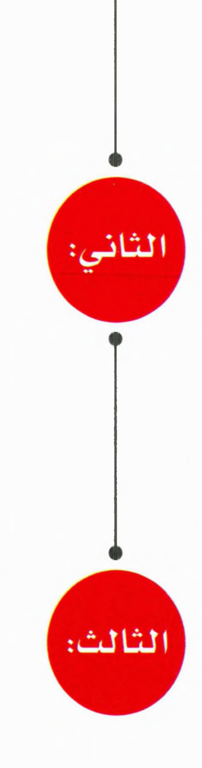
وقال سعد بن عبادة:

لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربتُه بالسيف غيرَ مُصْفَح [1] ؛ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: "تعجبون من غيرة سعد؟ واللهِ لَأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ منّي، ومن أجْلِ غَيرة الله حرَّم الفواحِشَ ما ظهر منها وما بطن"[2].

(1) يُقال: أصفحته بالسيف، إذا ضربته بعُرْضه دون حدّه. النهاية (3/ 34).

(2) البخاري (6846)، ومسلم (1499).

**وخصَّ سبحانه حدَّ الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص:**




**أحدها:** القتل فيه أشنعَ القِتلات، وحيث خفَّفه فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة.

**الثاني:** أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفةٌ في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحدِّ عليهم.

**الثالث:** أنه سبحانه أمر أن يكون حدُّهما بمشهد من المؤمنين، فلا يكون خلوةً حيث لا يراهما أحد، وذلك أبلغُ في مصلحة الحدِّ وحكمة الزجر.

وحدُّ الزاني المحصن مشتقٌّ من عقوبة الله سبحانه لقومِ لوطٍ بالقذف بالحجارة؛ وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش، وفي كلٍّ منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وأمره، فإنّ في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد، ولأنْ يُقتل المفعولُ به خير له من أن يُؤتى؛ فإنّه يَفسُد فسادًا لا يرجى له بعده صلاح أبدًا، ويذهب خيُره كلُّه، وتَمَصُّ الأرض ماوِيّة الحياء من وجهه، فلا يستحي بعد ذلك لا من الله، ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفةُ الفاعلِ ما يعمَلُ السمُّ في البدن.



# عُقوبة اللواط



ولما كانت مفسدةُ اللواط من أعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات.

وقد اختلف الناس: هل هو أغلظ عقوبةً من الزنا، أو الزنا أغلظ عقوبةً منه، أو عقوبتهما سواء؟ على ثلاثة أقوال [1]:

(1) ينظر: المحلى (11/ 380 - 386)، والمغني (12/ 348 - 350).

1

فذهب أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن معمر، والزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك، وإسحاق بن راهويه، والإمام أحمد في أصحِّ الروايتين عنه، والشافعي في أحد قوليه: **إلى أنَّ عقوبته أغلظُ من عقوبة الزنا، وعقوبته القتل على كلِّ حالٍ محصنًا كان أو غير محصن.**

2

وذهب عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وسعيد بن المسيّب، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والأوزاعي، والشافعي في ظاهر مذهبه، والإمام أحمد في الرواية الثانية عنه، وأبو يوسف ومحمد: **إلى أنّ عقوبته وعقوبة الزاني سواء.**

3

وذهب الحكم[1] وأبو حنيفة: إلى أنّ عقوبته دون عقوبة الزاني، وهي التعزير.

## قال أصحاب القول الأول، وهم جمهور الأمة، وحكاه غير واحد إجماعًا للصحابة:

1

ليس في المعاصي مفسدة أعظم من هذه المفسدة، وهي تلي مفسدة الكفر، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل.

2

وقالوا: ولم يبتلِ الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحدًا من العالمين، وعاقبهم عقوبةً لم يعاقب بها أمةً غيرهم، وجمع عليهم من أنواع العقوبات من الإهلاك وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمِهم بالحجارة من السماء فنكّلَ بهم نكالًا لم ينكّلْه بأمّةٍ سواهم؛ وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عُمِلت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شاهدوها، خشيةَ نزول العذاب على أهلها، فيصيبهم معهم، وتعجُ الأرض إلى ربِّها تبارك وتعالى، وتكاد الجبال تزول عن أماكنها.

(1) هو الحكم بن عُتيبة، عالم أهل الكوفة، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، مات سنة 132 هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (5/ 208).

# دواء اللواط [1]



فإن قيل: وهل مع ذلك كله من دواءٍ لهذا الداء العُضال، ورقيةٍ لهذا السحر القتّال؟ وما الاحتيال لدفع هذا الخبال؟ وهل من طريقٍ قاصدٍ إلى التوفيق؟ وهل يمكن السكرانَ بخمرة الهوى أن يفيق؟ وهل يملك العاشق قلبَه، والعشقُ قد وصل إلى سويدائه؟ وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سوء دائه؟

(1) وهو دواء للزنا والعشق كذلك.

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الأول الذي وقع عليه الاستفتاء، والداء الذي طُلِب له الدواء.

قِيلَ: نعم، الجواب من رأسٍ

"وما أنزل الله سبحانه من داءٍ إلا أنزل له دواءً؛ عَلِمَهُ مَن علمه، وجَهَلَهُ من جهله" [1].

والكلام في دواء هذا الداء من طريقين:

أحدهما: حَسْم مادّته قبل حصولها.

والثاني: قلعها بعد نزولها.

وكلاهما يسير على من يسّره الله عليه، ومتعذّر على من لم يُعِنْه، فإنّ أزِمّة الأمور بيديه.

(1) المسند (4/ 278).

## فأمّا الطريق المانع من حصول هذا الداء، فأمران:



### أحدهما: غضُّ البصر

فإنّ النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، ومَن أطلق لحظاتِه دامت حسراتُه.

### وفي غضِّ البصر عدّةُ منافع، وهو بعض أجزاء هذا الدواء النافع.

**1** أنّه امتثال لأمر الله

الذي هو غايةُ سعادة العبد في معاشه ومعاده، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربِّه تبارك وتعالى، وما سَعِدَ من سَعِدَ في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي مَن شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

## 2 أنه يمتنع من وصول أثر السهم المسموم

الذي لعلّ فيه هلاكَه إلى قلبه.

## 3 أنّه يورث القلب أنسًا بالله وجمعيّةً على الله

فإنّ إطلاق البصر يفرِّق القلب، ويشتِّته، ويُبعده من الله، وليس على العبد شيء أضرّ من إطلاق البصر، فإنّه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

## 4 أنه يقوّي القلب ويفرحه

كما أنّ إطلاق البصر يُضْعِفه ويحزنه.

## 5 أنه يُكسب القلب نورًا، كما أنّ إطلاقه يكسبه ظلمة.

ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمم بغضِّ البصر فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [سورة النور:30]. ثم قال إثر ذلك: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [سورة النور:35]. أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه.

## 6 أنّه يُورثه فراسةً صادقةً

يميّز بها بين المحِقّ والمبطل والصادق والكاذب.

## 7 أنّه يُورثُ القلبَ ثباتًا وشجاعةً وقوةً

فيجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة.

## 8 أنه يسدّ على الشيطان مدخله إلى القلب

فإنّه يدخل مع النظرة، وينفُذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثِّل له حسنَ صورة المنظور إليه، ويزيِّنها، ويجعلها صنمًا يعكُف عليه القلب، ثم يَعِدُه، ويُمنِّيه، ويوقِد على القلب نار الشهوة، ويُلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصّل إليها بدون تلك الصورة، فيصيرُ القلب في اللَّهيب.

## 9 أنّه يُفرِغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها

وإطلاقُ البصر يشتِّته عن ذلك، ويحول بينه وبينه؛ فينفرط عليه أموره، ويقع في اتّباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف:28]، وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

يُوجب انفعال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فَسدَ القلبُ فسدَ النظرُ، وإذا فسدَ النظرُ فسَدَ القلبُ، وكذلك في جانب الصلاح، فإذا خَربتِ العينُ وفسَدتْ، خربَ القلبُ وفسدَ، وصار كالمزْبلَةِ التي هي محلُّ النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلُح لسُكنى معرفةِ اللهِ ومحَبتهِ والإنابة إليه والأُنْس به والسرور بقرْبِه فيه، وإنّمَا يسكنُ فيه أضدادُ ذلك.



## الثاني[1]: اشتغال القلب بما يصدّه عن ذلك

بما يصدّه عن ذلك، ويحول بينه وبيّن الوقوع فيه، وهو إمّا خوفٌ مقلق، أو حبٌ مزعِج، فمتى خلا القلب من خوف ما فواتُه أضرُ عليه من حصول هذا المحبوب، أو خوف ما حصولُه أضرُ عليه من فوات هذا المحبوب، أو محبة ما هو أنفع له وخير له من هذا المحبوب وفواتُه أضرُ عليه من ذوات هذا المحبوب لم يجد بدّا من عشق الصور.

### وشرح هذا:

أنّ النفس لا تترك محبوبًا إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكروهٍ حصولُه أضرُ عليها من فوات هذا المحبوب، وهذا يحتاج صاحبه إلى أمرين إن فُقِدا أو أحدهما لم ينتفع بنفسه:

(1) أي: الطريق الثاني المانع من حصول هذا الداء.

أحدهما:

بصيرة صحيحة يفرّق بها بين درجات المحبوب والمكروه، فيؤثر أعلى المحبوبَين على أدناهما، ويحتمل أدنى المكروهَين ليخلُصَ من أعلاهما، وهذا خاصّة العقل، ولا يعدُّ عاقلًا من كان بضدّ ذلك، بل قد تكون البهائم أحسن حالًا منه.

الثاني:

قوة عزم وصبر يتمكّن بها من هذا الفعل والترك، فكثيرًا ما يعرف الرجل قدر التفاوت، ولكن يأبى له ضعفُ نفسه وهمته وعزيمته على إيثار الأنفع، من جشعه وحرصه ووَضاعة نفسه وخسّة همته، ومثل هذا لا ينتفع بنفسه، ولا ينتفع به غيره.

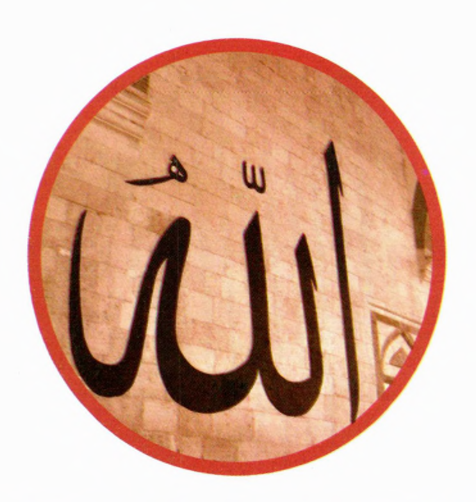
# الفصل الثامن عشر

## لا يجتمع في القلب حبّ المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدًا



إذا عرفت هذه المقدمة، فلا يمكن أن يجتمع في القلب حبُّ المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدًا، بل هما ضدّان لا يتلاقيان، بل لابدّ أن يُخرج أحدهما صاحبه، فمن كانت قوةُ حبه كلُّها للمحبوب الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها، صَرَفه ذلك عن محبة ما سواه، وإنْ أحبّه لم يحبّه إلا لأجله ولكونه وسيلةً له إلى محبته، أو قاطعًا له عمّا يضادُّ محبته وينقضها، والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته.

فمحبة الصور تُفوِّت محبةَ ما هو أنفع للعبد منها، بل تُفوِّت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلا بمحبته وحدَه؛ فليختر إحدى المحبَّتَين، فإنهما لا تجتمعان في القلب ولا ترتفعان منه، بل مَن أعرض عن محبة الله وذكرهِ والشوقِ إلى لقائه ابتلاه بمحبة غيره، فيعذُّبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة؛ فإمَّا أن يعذِّبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصُّلبان، أو بمحبة النيران، أو محبة المُرْدان، أو محبة النسوان، أو محبة الأثمان، أو محبة العُشراء والخلّان، أو محبة ما دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان



## فالإنسان عبدُ محبوبِه كائنًا ما كان! كما قيل [1]:

أنت القتيل بكلّ من أحببتَه

فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فمن لم يكن إلهُهُ مالِكَهُ ومولاه، كان إلهه هواه، قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

[سورة الجاثية:23]

(1) لابن الفارض في ديوانه (151).

# مراتب الحب



## وخاصية التعبُد:

الحبُّ مع الخضوع والذلِّ للمحبوب، فمن أحبَّ شيئًا وخضع له فقد تعبّد قلبه له، بل التعبُّد آخر مراتب الحبِّ، ويقال له التتيُّم أيضًا.

## فإنّ أول مراتبه:



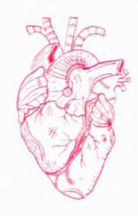
# العلاقة

وسميت "علاقة " لتعلّق القلب بالمحبوب، قال:

وعُلِّقتُ ليلى وَهْيَ ذات تمائم

ولم يبدُ للأتراب من ثديها حَجْمُ[1]

## ثم بعدها



# الصّبابة

وسمِّيت بذلك لانصباب القلب إلى المحبوب، قال:

تشـكّى المحبُّون الصبـــابةَ ليتنــــي

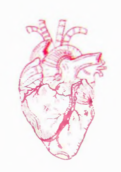
تحملتُ ما يَلْقَون من بينهم وحدي

فكانت لقلبـــي لذةُ الحـــبّ كلُّهـــا

فلم يلقَها قبلي محبٌّ ولا بعدي[2]

(1) لمجنون ليلى في الأغاني (2/ 13) وغيره. ينظر: ديوانه (186).

(2) البيتان لمجنون ليلى في ديوانه (92).



## ثم الغرام

**وهو لزوم الحبِّ للقلب لزومًا لا ينفكُّ عنه**

ومنه سمِّي الغريم غريمًا لملازمته صاحبَه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان:65]، وقد أُولِع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحبِّ، وقلَّ أن تجده في أشعار العرب



## ثم العشق

**وهو إفراط المحبة**

ولهذا لا يُوصَف به الربُّ تعالى، ولا يطلق في حقّه



# ثم الشوق

وهو سفر القلب إلى المحبوب أحثّ السفر

**وقد جاء إطلاقه في حقِّ الرب تعالى [1].**

وأطيب العيش وألذُّه على الإطلاق عيش المحبِّين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيبُ ولا أنعمُ ولا أهنأ منها، وهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:97]



(2) كما في مسند الأمام أحمد، رقم (18325)، من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم".. وأسألك الشوق إلى لقائك...".

وقد ضَمِن الله سبحانه لكلِّ من عمل صالحًا أن يُحييَه حياةً طيبة؛ فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده، وأيُّ حياةٍ أطيب من حياةِ مَن اجتمعت همومه كلُّها، وصارت همًّا واحدًا في مرضاة الله، ولَمّ شعثَ قلبه بالإقبال على الله، واجتمعت إراداته وأفكاره- التي كانت منقسمةً بكل وادٍ منها شعبة- على الله؟! فصار ذكرُ محبوبه الأعلى، وحبُّه، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده، بل خطرات قلبه؛ فإنْ سكتَ سكتَ بالله، وإن نطقَ نطقَ بالله، وإن سَمِعَ فبه يسمعُ، وإن أبصرَ فبه يبصرُ، وبه يبطشُ، وبه يمشي، وبه يتحركُ، وبه يسكنُ، وبه يحيا، وبه يموتُ، وبه يبعث.





# ثم التتيُّم

وهو آخر مراتب الحبّ

وهو تعبُد المحبِّ لمحبوبه، يقال: تيّمه الحبُّ؛ إذا عبّدَه، ومنه: تَيْم الله، أي عَبْد الله.

## وحقيقة التعبد:

الذلُّ والخضوع للمحبوب، ومنه قولهم: "طريق معبّد" أي مذلّل قد ذلّلته الأقدام؛ فالعبد هو الذي ذلّلَه الحبُّ والخضوع لمحبوبه، ولهذا كانت أشرفُ أحوال العبد ومقاماته هي العبوديةَ، فلا منزل له أشرفُ منها.




وقد ذكر الله سبحانه أكرمَ الخلق عليه وأحبّهم إليه- وهو رسوله محمد ﷺ - بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي: مقام الدعوة إليه، ومقام التحدّي بالنبوة، ومقام الإسراء، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [سورة الجن:19]، وقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:23]، وقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء:1]

والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، التي هي أكمل أنواع المحبة، مع أكمل أنواع الخضوع والذلِّ، وهذا هو حقيقة الإسلام وملّة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سَفِهَ نَفَسَهُ.




### وهي تتضمّن كمال المحبة ونهايتَها

بحيث لا يبقى في قلب المحبِّ سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجهٍ ما، وهذا المنصب خَلَصَ لخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد، كما قال ﷺ: "إن الله اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا"[1].

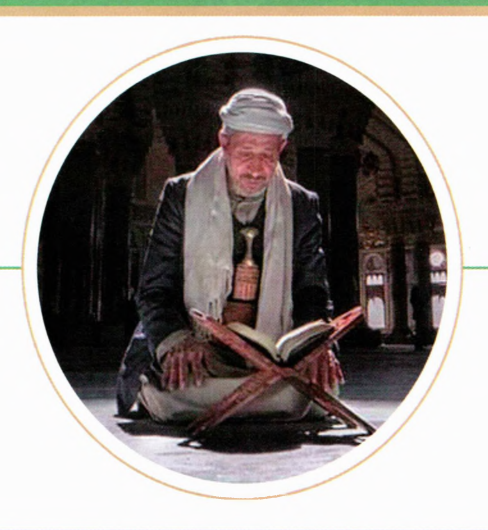
(2) أخرجه مسلم، (532)، من حديث جندب رضي الله عنه.

ولما سأل إبراهيمُ الولدَ، فأُعطِيَه، وتعلّق حبُّه بقلبه، فأخذ منه شعبةً؛ غار الحبيبُ على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبحه.



وكان الأمر في المنام؛ ليكون تنفيذ المأمور به أعظمَ ابتلاءً وامتحانًا، ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه، ليخلُصَ القلبُ للربّ، فلما بادر الخليلُ إلى الامتثال، وقدّم محبة الله على محبة ولده؛ حصل المقصود، فرُفع الذّبح، وفُدي بذِبح عظيم.

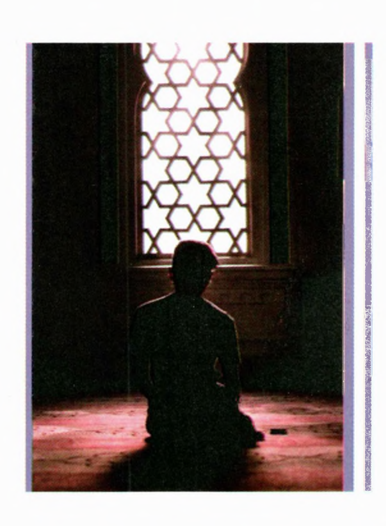
# حبُّ اللهِ ورسوله أصلُ الأعمالِ الدينيَّةِ



## وإذا كان الحبُّ أصل كل عمل من حق وباطل

فأصل الأعمال الدينية حبُّ الله ورسوله، كما أنّ أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله.

وكلُّ إرادة تمنع كمال الحبِّ لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة، أو شبهةٍ تمنع كمال التصديق؛ فهي معارضة لأصل الإيمان أو مُضْعِفة له، فإنْ قويت حتى عارضت أصلَ الحبِّ والتصديق كانت كفرًا وشركًا أكبرَ، وإنْ لم تعارضه قدحتْ في كماله، وأثّرت فيه ضعفًا وفتورًا في العزيمة والطلب، وهي تحجب الواصل، وتقطع الطالب، وتُنكِّس الراغب.

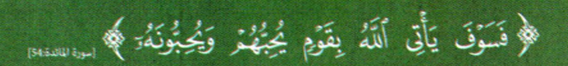


وَلا شيء على الإطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره، وتنعُمه بحبه، وإيثاره لمرضاته؛ بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك.



ولما كانت المحبة جنسًا تحته أنواع متفاوتة في القدر والوصف، كان أغلب ما يُذكَر فيها في حقِّ الله تعالى ما يختصُ به ويليق به من أنواعها، ولا يصلح إلا له وحده، مثل العبادة والإنابة ونحوهما؛ فإنَّ العبادة لا تصلح إلا له وحده، وكذلك الإنابة.

## وقد تُذكر المحبة باسمها المطلق، كقوله تعالى:




## وقوله:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [سورة البقرة:165]

## وأعظم أنواع المحبة المذمومة:

المحبّة مع الله، التي يسوِّي المحبُ فيها بين محبته لله ومحبته للندِّ الذي اتخذه من دونه.

## وأعظم أنواعها المحمودة:

محبة الله وحده، ومحبة ما أحبَّ، وهذه المحبة هي أصل السعادة ورأسُها، التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها.



والمحبة المذمومة الشركية هي أصل الشقاوة ورأسها، التي لا يبقي في العذاب إلا أهلها.

فأهل المحبة الذين أحبّوا الله، وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار، ومن دخلها منهم بذنوبه فإنَه لا يبقى فيها منهم أحد.

وأصل دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم إنَما هو عبادة الله وحده لا شريك له، المتضمّنة لكمال حبّه، وكمال الخضوع والذلّ له، والإجلال والتعظيم، ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى.



وقد ثبت في الصحيحين[1] من حديث أنس عن النبي ﷺ أنّه قال:

والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

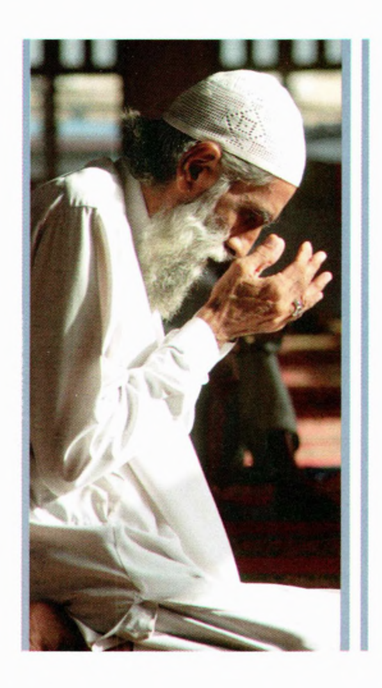
وفي صحيح البخاري[2] أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

يا رسول الله، واللهِ لأنتَ أحبُّ إليّ من كلّ شيء إلا من نفسي. فقال: "لا يا عمر، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك". فقال: والذي بعثك بالحق لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. قال: "الآن يا عمر".

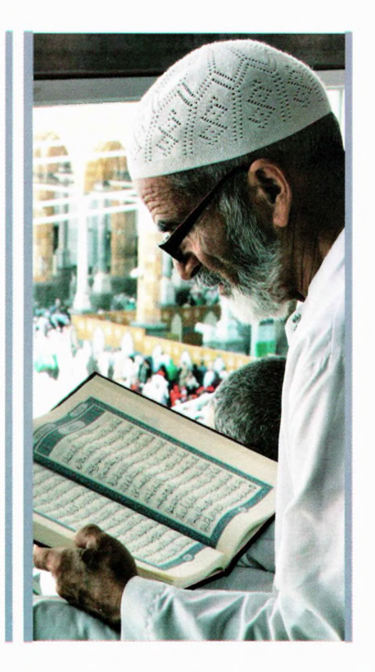
فإذا كان هذا شأنَ محبّةِ عبده ورسوله، ووجوبِ تقديمها على محبّة نفس الإنسان وولده ووالده والناس أجمعين، فما الظنُّ بمحبة مُرسِله سبحانه وتعالى ووجوبِ تقديمها على محبة ما سواه؟!

(1) البخاري(15)، ومسلم (44).

(1) برقم (6632).



ومحبة الربّ تعالى تختصُّ عن محبة غيره في قدرها وصفتها وإفرادِه سبحانه بها، فإنّ الواجب له من ذلك أن يكون أحبّ إلى العبد من ولده ووالده، بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه، فيكون إلهُه الحقُّ ومعبودُه أحبّ إليه من ذلك كلّه.



والشيء قد يُحَبّ من وجه دون وجه، وقد يُحَبُّ لغيره، وليس شيء يُحَبُّ لذاته من كلِّ وجهٍ إلا الله وحده، ولا تصلح الألوهية إلا له، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء:22]، والتألُّه هو المحبة، والطاعة، والخضوع.

# الفرقُ بين المحبَّة المحمودة والمحبَّة المذمومة



## والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم وأحكام

سواء كانت محمودة أو مذمومة، نافعة أو ضارّة، من الذوق، والوجد، والحلاوة، والشوق، والأنس، والاتصال بالمحبوب والقرب منه، والانفصال عنه والبعد منه، والصدّ والهجران، والفرح والسرور، والبكاء والحزن، وغير ذلك من أحكامها ولوازمها.

## والمحبة المحمودة

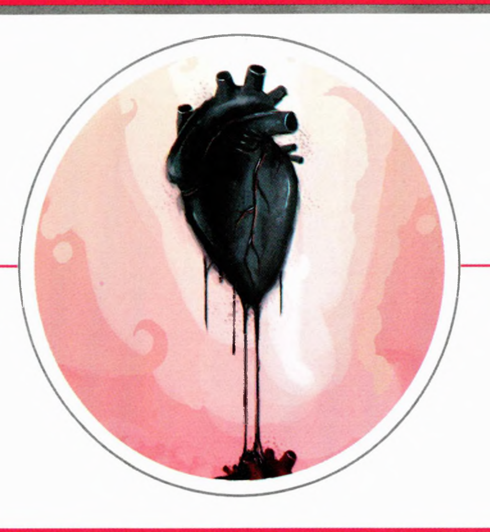
هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان سعادته، والضارّةُ هي التي تجلب لصاحبها ما يضرُّه في دنياه وآخرته، وهي عنوان شقاوته.

ومعلوم أنّ الحيّ العاقل لا يختار محبةَ ما يضرُّه ويُشقيه، وإنّما يصدر ذلك عن جهلٍ وظلمٍ، فإنّ النفس قد تهوى ما يضرُّها ولا ينفعها وذلك ظلم من الإنسان لنفسه إما بأن تكون جاهلةً بحال محبوبها بأن تهوى الشيء وتحبُّه غيرَ عالمة بما في محبته من المضرّة، وهذا حال من أَتبع هواه بغير علم، وإما عالمةً بما في محبته من المضرّة، لكن تُؤثر هواها على عِلْمها؛ وقد تتركّب محبتها من أمرين: اعتقادٍ فاسدٍ، وهوى مذموم، وهذا حال من أَتبع الظنّ وما تهوى الأنفس.



فلا تقع المحبة الفاسدة إلا من جهل واعتقاد فاسد، أو هوى غالب، أو ما تركّب من ذلك، وأعان بعضه بعضًا، فتتفق شبهةٌ يشتبه بها الحقُّ بالباطل تُزيِّن له أمرَ المحبوب، وشهوةٌ تدعوه إلى حصوله؛ فيتساعد جيش الشبهة والشهوة على جيش العقل والإيمان، والغلبة لأقواهما.

# مفاسد عشقِ الصوَّر



## ونختم الجواب بفصلٍ يتعلَّق بعشق الصور

وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة، وإن كانت أضعافَ ما يذكره ذاكر، فإنَّه يفسد القلب بالذات، وإذا فسدَ فسدت الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد نفس التوحيد.

والله سبحانه إنّما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهما

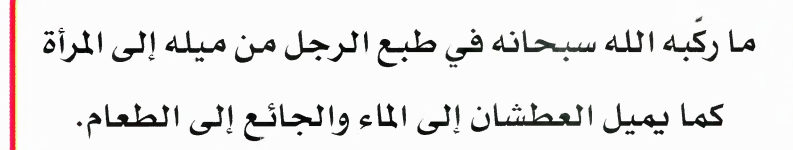
اللوطية

والنساء

فأخبر

عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودَتْه وكادَتْه به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفّته وتقواه، مع أنّ الذي ابتلي به أمرٌ لا يصبر عليه إلا من صبّره الله عليه، فإنّ موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، وذلك من وجوه:

**أحدها:**


ما ركّبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام.

**الثاني:**

أن يوسف عليه السلام كان شابًّا، وشهوة الشباب وحدّته أقوى.

**الثالث:**

أنه كان عَزَبًا ليس له زوجة ولا سُرّيّة تكسر شدّة الشهوة.

**الرابع:**

أنه كان في بلاد غُربةٍ يتأتّى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتّى له في وطنه بين أهله ومعارفه.

**الخامس:**

أنّ المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث إنّ كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مُواقَعَتِها.

**السادس:**


أنها غير ممتنعة ولا آبية.

**السابع:**

أنّها طلبت وأرادت وراودت وبذلت الجهد، فكفَتْه مؤنة الطلب وذلّ الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

**الثامن:**

أنّه في دارها وتحت سلطانها وقهرها؛ بحيث يخشى إن لم يطاوعها مِن أذاها له؛ فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

**التاسع:**

أنّه لا يخشى أن تنُمّ عليه هي ولا أحد من جهتها، فإنّها هي الطالبة والراغبة، وقد غلّقت الأبواب، وغيّبت الرقباء.

**العاشر:**

أنّه كان في الظاهر مملوكًا لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكَر عليه.

**الحادي عشر:**

أنّها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأَرَتْه إيّاهنّ، وشكت حالها إليهنّ، لتستعين بهنّ عليه؛ فاستعان هو بالله عليهن، فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة يوسف:33]

**الثاني عشر:**

أنها تواعدته بالسجن والصّغار، وهذا نوع إكراه؛ إذ هو تهديد ممن يغلب على الظنّ وقوعُ ما هدّد به؛ فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار

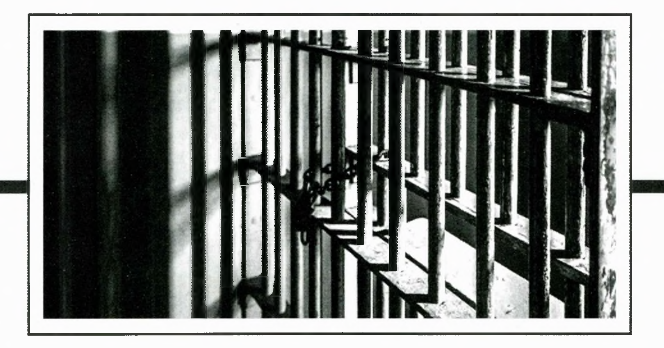
**الثالث عشر:**

أنّ الزوج لم يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرّق به بينهما، ويُبعد كلّا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلهما به أن قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [سورة يوسف:29]، وللمرأة: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [سورة يوسف:29]، وشدة الغيرة في الرجل من أقوى الموانع، وهذا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلِّها، فآثر مرضاةَ الله وخوفَه، وحمله حبُّه لله على أن اختار السجن على الزنا،

فقال:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ﴾ [سورة يوسف:33] .



وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكَم ما يزيد على ألف فائدة، لعلّنا إن وفّق الله أن نفردها في مصنّف مستقلّ.

## والطائفة الثانية الذين حكى عنهم العشق هم



# اللوطية

قال تعالى:

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾

[سورة الحجر:67-72]

فحكاه سبحانه عن طائفتين عَشِقَ كلٌّ منهما ما حُرِّم عليه من الصور، ولم يبال بما في عشقه من الضرر، وهذا داء أعيا الأطبّاءَ دواؤه، وعزَّ عليهم شفاؤه، وهو -لَعمرُ الله- الداء العضال، والسم القتّال، الذي ما عَلِقَ بقلب إلا وعزَّ على الورى استنقاذُه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

# وهو أقسام:

**فإنّه تارةً يكون كفرًا.**

كمن اتخذ معشوقَه نِدّا يحبُّه كما يحبُّ الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يُغفر لصاحبه، فإنَّه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يُشرَك به؛ وإنما يُغفَر بالتوبة الماحية.

## وعلامة هذا العشق الشركي الكفري

أن يقدِّم العاشقُ رضا معشوقه على رضا ربِّه، وإذا تعارض عنده حقُّ معشوقه وحظُّه وحقُّ ربِّه وطاعته قدَّم حقَّ معشوقه على حقِّ ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفَسَ ما يقدِر عليه، وبذل لربِّه -إن بذل- أردأ ما عنده واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرُّبِ إليه، وجعَلَ لربِّه -إن أطاعه- الفضلةَ التي تفضُل عن معشوقه من ساعاته.



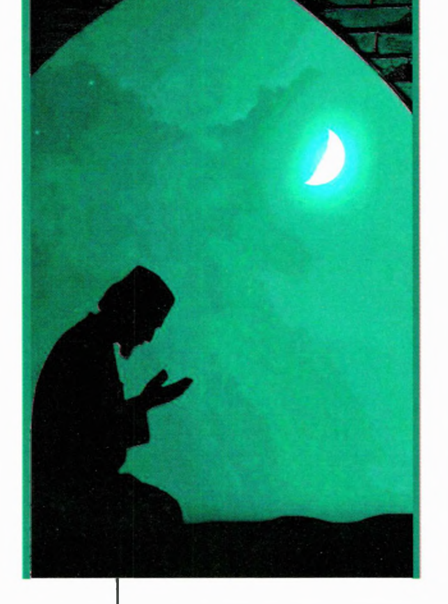
# دَواء عشقِ الصُّور



## ودواءُ هذا الدّاء القتّال:

أن يعرف ما ابتُلي به من الداء المضادِّ للتوحيد أولًا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يَشْغَل قلبَه عن دوام الفكرة فيه، ويُكثر اللجأ والتضرُّع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يراجع بقلبه إليه.

## وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله



وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] [سورة يوسف:24]،

فأخبر سبحانه أنّه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه؛ فإنّ القلب إذا خلَصَ وأخلص عملَه لله لم يتمكّن منه عشق الصور

(1) المخلِصين: بكسر اللام على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ينظر: السبعة لابن مجاهد (348) واستدلال المؤلف بالآية مبني على القراءة.

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعافُ أضعاف ما يقدّر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

## 1 الاشتغال بحبِّ المخلوق وذكره عن حبِّ الربّ تعالى وذكره

فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدُهما صاحبَه، ويكون السلطان والغلبة له.

## 2 عذاب قلبه بمعشوقه

فإنّ من أحبّ شيئًا غيرَ الله عُذِّب به، ولابدّ:

فما في الأرض أشقى من محبٍّ ... وإن وَجَد الهوى حُلْوَ المذاقِ
تراه باكيًا في كل حينٍ ... مخافةَ فُرْقة أو لاشتياقِ
فيبكي إن نَأَوْا شوقًا إليهم ... ويبكي إن دَنَوا حذرَ الفراقِ
فتسخَن عينُه عند الفراق ... وتسخَن عينُه عند التلاقي[1]

(1) الأبيات لنصيب في ديوانه المجموع (111).

## 3 العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه

يسومُه الهوانَ، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبُه:

كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومُها

حياضَ الرَّدى والطفل يلهو ويلعب[1]

## 4 يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه

فليس شيءٌ أضيعَ لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور.

**أمّا مصالح الدين**

فإنّها منوطة بلَمِّ شَعَث القلب وإقباله على الله، وعشقُ الصور أعظم شيءٍ تشعيثًا وتشتيتًا له.

**وأمّا مصالح الدنيا**

فهي متابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دُنياه أضيَعُ وأضيَعُ.

(1) نسب البيت إلى ابن الزيّات في معجم الشعراء للمرزباني (366)، والفتح بن خاقان في الزهرة (85).

## 5 أنّ آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشّاق الصور

من النار في يابس الحطب.

### وسبب ذلك:

أنّ القلب كلّما قَرُبَ من العشق وقوِيَ اتصالُه به بَعُدَ من الله، فأبعدُ القلوب من الله قلوب عشّاق الصور، وإذا بَعُدَ القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإنّ الشيطان يتولّاه، ومن تولّاه عدوُه واستولى عليه لم يألُه وَبالًا، ولم يدَعْ أذًى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

6 أنه إذا تمكّن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهنَ

وأحدث الوسواسَ، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

7 أنّه ربما أفسد الحواسّ أو بعضها

إمّا فسادًا معنويًا أو صُوريًا.

أمّا الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإنّ القلبَ إذا فسدَ فسدت العينُ والأذنُ واللسانُ، فيرى القبيح حسنًا منه ومن معشوقه، وأما إفساده للحواسّ ظاهرًا، فإنّه يُمرِض البدن ويُنهِكه، وربما أدّى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتلهم العشق.



وقد رُفع إلى ابن عباس -وهو بعرفة- شابٌ قد انتحل [1] حتى عاد عظما بلا لحم فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق. فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامّةَ يومه [2].

والعشق مبادئه سهلة حلوة

وأوسطه همٌ وشغلُ قلبٍ وسقمٌ

وآخره عطَبٌ وقتل، إن لم يتداركه عناية من الله

كما قيل [3]:

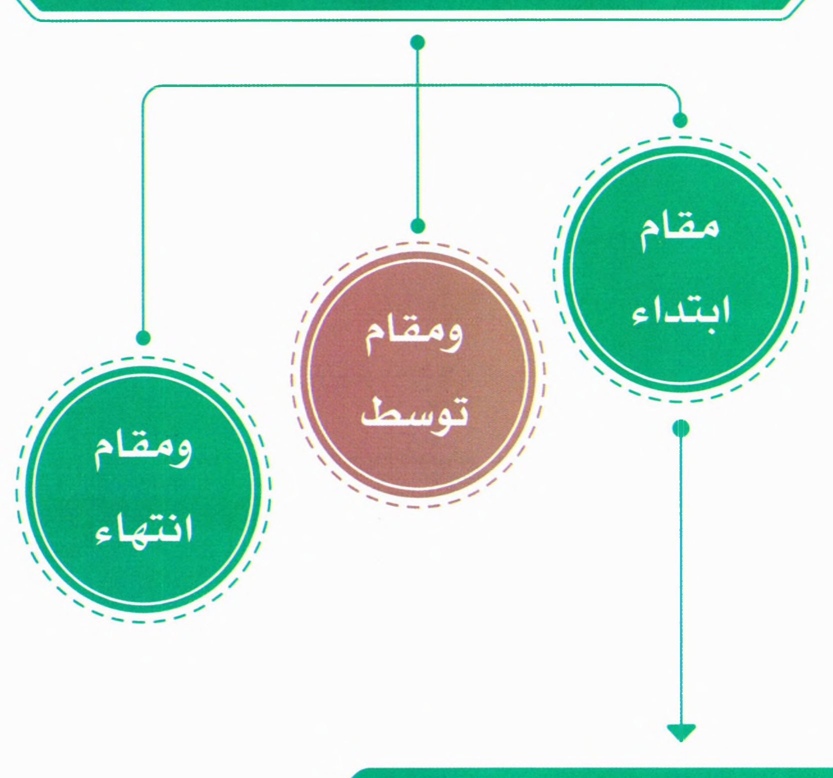
وعِشْ خاليًا فالحبُّ أولُه عَنا  وأوسطه سقم، وآخره قتلُ

(1) أي: ضعُف جسمه.

(2) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (322)، وابن الجوزي في ذم الهوى (373).

(3) لابن الفارض في ديوانه (134) وروايته: "فالحب راحته عنا، وأوله سقم".

## والعاشق له ثلاث مقامات:




## فأما مقام ابتدائه

فالواجب عليه فيه مُدافعتُه بكلّ ما يقدر عليه، إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذِّرًا قدرًا أو شرعًا.

## فإن عجز عن ذلك، وأبى قلبُه إلا السفر إلى محبوبه

### وهذا مقام التوسط والانتهاء

فعليه كتمانُ ذلك، وألا يُفشيَه إلى الخلق، ولا يُشبِّبَ بمحبوبه ويهتكه بين الناس؛ فيجمع بين الشرك والظلم؛ فإنّ الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كان أعظم ضررًا على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله؛ فإنّه يعرِّض المعشوق بتهتُّكه في عشقه إلى وقوع الناس فيه، وانقسامهم إلى مصدِّق ومكذِّب، وأكثر الناس يصدِّق في هذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيل: فلانٌ فَعلَ بفلانٍ أو فلانة؛ كذّبه واحد، وصدّقه تسعمائة وتسعةٌ وتسعونَ!

# محبَّة الزوجات



## وأما محبّة النِّسْوان (1) فلا لوم على المحبِّ فيها

**بل هي من كماله، وقد امتن الله سبحانه بها على عباده فقال:** ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم:21]، **فجعل المرأة سكنًا للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحبِّ، وهو المودة المقترنة بالرحمة.**

(1) أي: الزوجات.




وقد سئل رسول الله ﷺ

عن أحب الناس إليه، فقال:

"عائشة"[1].




وقال عن خديجة:

"إني رُزِقت حبَّها"[2].

فمحبة النساء من كمال الإنسان.

وقد قال تعالى:

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾

[سورة النساء:129]

يعني: في الحبِّ والجماع.

(1) أخرجه البخاري (3662)، ومسلم (2384)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم (2435)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

# صحة حديث "مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ"؟



## وأمّا حديث "من عشِقَ فعفَّ "[1]

فهذا يرويه سُوَيد بن سعيد، فقد أنكره حُفّاظ الإِسلام عليه.

وكلامُ حُفّاظ الإِسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم يُرجَع في هذا الشأن، وما صحّحه، بل ولا حسّنه أحد يُعوّل في علم الحديث عليه، ويُرجَع في التصحيح إليه.

(1) عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: "من عشِقَ وعفَّ وكتَم فمات، فهو شهيد"، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (43/ 195)، وابن الجوزي في ذم الهوى (101).


فنسأل
اللَّه العظيم ربّ العرش العظيم
أن يجعلنا ممن آثر حبّه على هواه،
وابتغى بذلك قربه ورضاه.



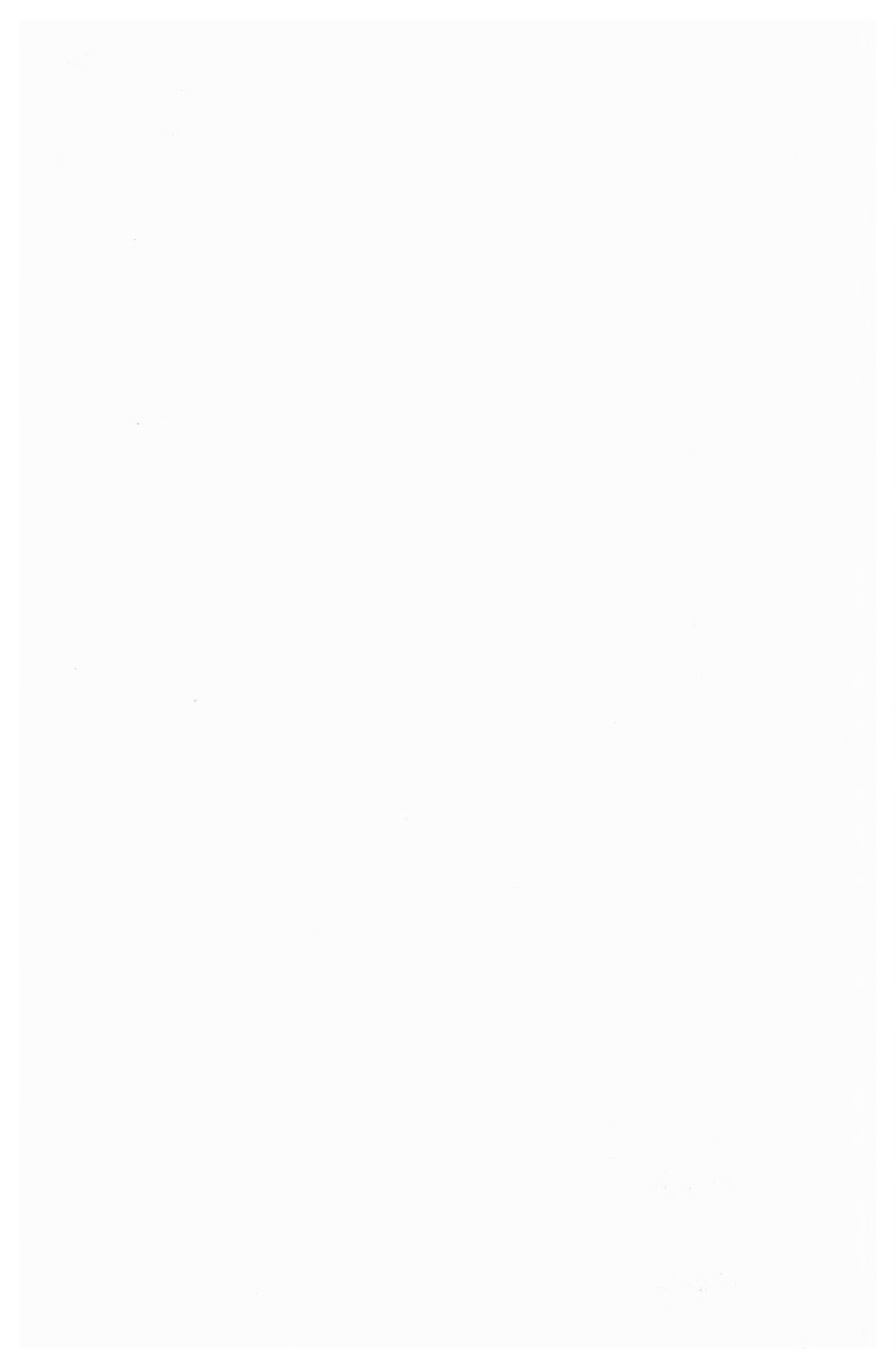

التصميم والإخراج الفني:

@Moh-ab-ad

+90 555 152 05 22

# الفهرس





بين يديك مختصر لكتاب " **الداء والدواء**" للإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى-.

والمقصود من هذا الاختصار: **تقريب الكتاب ليكون في مُتَنَاوَل الجميع**؛ نظرًا لما حَوَاه من موضوعات جليلة تهم الفرد والمجتمع.

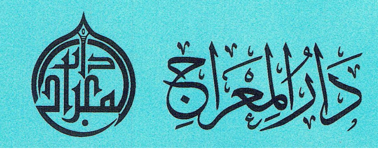
وقد تضمّن هذا المُخْتَصَر صورًا ورسومات متنوعة بتصاميم **"الإنفوجرافيك"** لتقريب المعاني وتوضيحها، ونقلها إلى القارئ في صورة إبداعية تألفها العين.

**والله من وراء القصد**

ناصر صالح آل عشوي

لقد كان كتاب ابن القيم -رحمه الله تعالى- **الداء والدواء**، أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي جواباً لمن سأله أنه ابتلي ببلية وعلم أنها إن استمرت به أفسدت دنياه وآخرته فما الحيلة في دفعها؟ فأجاب على سؤاله جواباً طويلاً وعالج -رحمه الله تعالى- في هذا الجواب قضية (المعاصي) وما يترتب عليها من الآثار والعقوبات المادية والنفسية والروحية وبين الوقاية من ذلك والمخرج منها غير أنه -رحمه الله تعالى- أطال كثيراً في الجواب، واستطرد في فصوله ومباحثه، وكثير في زمانك مع وقوعهم في ذات المشكلة ومعاناتهم منها وشدة أثرها عليهم وضرورتهم إلى هذا العلاج الذي ذكره -رحمه الله تعالى- إلا أنهم قد لا يستطيع قراءة هذا الجواب في هذه المئين من الصفحات وتقصر همة الواحد منهم عن تتبع كل ما قاله في هذا الكتاب النفيس فسمت همة أخينا: ناصر صالح آل عشوي جزاه الله تعالى خيرًا إلى اختصار هذا الكتاب وتقديم هذا العلاج العظيم في صورة سهلة وميسرة ومرتبة فاختصره وقرّبه، ولم يتصرف في كلام المؤلف بشيء، واجتهد في تصميمه ليكون جاذباً شكلاً ومعنى وهو بهذا يسهم في تقديم هذه الوصفة العلاجية في صورة تليق بها فجزاه الله تعالى خيراً وبسط عليه توفيقه وأجرى له سهمًا وافرًا من حظوظ المنتفعين في الدارين، والله ولي التوفيق.

د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي






9 789933 586997